

هذا العدد :

- ملامح من تاريخ العلاقات الحضارية بين ليبيا وممالك وادي النيل الفرعونية
أ.د. عبدالرحيم محمد خبير
- أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد 1920-1960م (ممكلة
كانم نموذجا)
- أ.عبد الواحد محمد داود - د. يسرية موسى أحمد جمال الدين
أصحمة بن أبجر (النّجاشي) ودوره في الإسلام (دراسة تحليلية)
- د. عبد اللطيف أحمد يعقوب محمد
إضاءات حول الحركة الوطنية في السودان (1899م-
1989م) (دراسة تاريخية تحليلية)
- د.علي أحمد عباس محمد
العلاقات الاجتماعية بين بلاد عمان وساحل شرق إفريقيا في العصر
الإسلامي (الهجرات السكانية أمموذجا)
- أ.عبد العزيز خليفة فرج السلمي
لمحات عن التعليم وبداياته في المدينة المنورة (1343 - 1373 هـ/1953-
1924م) «دراسة تاريخية»
- أ. سهام حسن مرعي معشي

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2023
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السمانى النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د. أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا
د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُزْم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

- ملاحم من تاريخ العلاقات الحضارية بين ليبيا وممالك وادي النيل الفرعونية.....(7-14)
أ.د. عبدالرحيم محمد خير
- أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد(1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً).....(15-38)
أ.عبد الواحد محمد داود - د. يسرية موسى أحمد جمال الدين
- أصحمة بن أبجر (التجاشي) ودوره في الإسلام (دراسة تحليلية).....(39-50)
د. عبد اللطيف أحمد يعقوب محمد
- إضاءات حول الحركة الوطنية في السودان (1899م- 1989م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(51-78)
د.علي أحمد عباس محمد
- العلاقات الاجتماعية بين بلاد عمان وساحل شرق إفريقيا في العصر الإسلامي (الهجرات السكانية أمودجاً). (79-92)
أ.عبد العزيز خليفة فرج السلمي
- لمحات عن التعليم وبداياته في المدينة المنورة (1343 - 1373 هـ/ 1924-1953م) «دراسة تاريخية».....(93-122)
أ. سهام حسن مرعي معشي

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد السابع والعشرون (مزدوج) من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار خمسة وعشرون عدداً من المجلة الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

ملاحم من تاريخ العلاقات الحضارية بين ليبيا وممالك وادي النيل الفرعونية

قسم الآثار - جامعة بحري

أ.د. عبدالرحيم محمد خبير

مستخلص :

تعتبر ليبيا من أقطار البحر الأبيض المتوسط التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ شمال افريقيا والأمصار المجاورة منذ أزمان موعلة في القدم . وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الأثرية والتاريخية ضئيلة لتمدنا بصورة متماسكة عن طبيعة العلاقات الحضارية بين ليبيا وممالك وادي النيل الفرعونية . ونستند في معلوماتنا بصورة رئيسية على النقوش المصرية الفرعونية ، فضلا عن نتائج التنقيبات الأثرية للمسوحات الأثرية لإقليم النوبة (جنوب مصر وشمال السودان) التي أجريت خلال القرن المنصرم (1907-1911م ، 1929-1934، 1959 - 1961م) والأعمال الميدانية اللاحقة في العقود الأخيرة . ويلزم التنويه أن قبائل الشمال الليبي (الليبو - Libu) قد إتحدت مع « شعوب البحر - Peoples of the Sea » القادمين من إقليم البحر الأبيض المتوسط وقاموا بغزو دلتا النيل الغربية في عهد الملك المصري سبتى الأول (1289-1303 ق.م) ولم يتم إبعادهم عنها بشكل نهائي إلا في فترة لاحقة في عهد الملك مرنبتاح (1204-1224 ق.م). ومن جهة أخرى ، فإن الليبيين الجنوبيين (التميحو Temehu) قد أسسوا علاقات تفاوتت بين سلم وحرب مع إقليم النوبة (جنوب مصر وشمال السودان) كما يستبان ذلك من العديد من النقوش عبر أحقاب التاريخ الفرعوني المتعاقبة .

Glimpses from the cultural Relations between Libya and the pharaonic kingdoms of the Nile valley

Prof.abdelrahim Mohamed Khabir Hassan

Abstract:

Libya as a Mediterranean country played an important role in the history of northern Africa and its peripheries since times immemorial. It is noteworthy that archaeological and historical records are scarce as to provide us with a coherent picture about its relations with the Pharaonic kingdoms of the Nile valley Our information has mainly been gathered from the Pharaonic Egyptian inscriptions and the results of salvage excavations conducted in Egypt and Sudan during the three Archaeological Nubian Surveys (1907-1942 1929-1934, 1959-1961)and the subsequent field works.The archaeological records indicate that the northern Libyan inhabitants (Libu tribe) allied with the "The Sea Peoples" of Mediterranean littoral and invaded the western Delta of the River Nile during the reign of King Setti-1 (1303-1289 B.C.) yet, they

were eventually defeated and expelled from the district by king Meren Batah(1224-1204 B.C.). On the other hand, the southern Libyan dwellers- (Temehu) established cultural ties with Nubia (southern Egypt and northern Sudan) as manifested on several inscriptions throughout the Pharaonic history

مقدمة :

أطلق الفراعنة المصريون إسم « الليبيين » على الأقوام التي كانت تعيش إلى الغرب من مصر . وكانت القبيلة الليبية التي تقطن في المنطقة المتاخمة لمصر هي قبيلة « الليبو (Libu). وورد ذكرها لأول مرة في عهد الملك مرنبتاح (1236-1223 ق.م) من الأسرة الفرعونية التاسعة عشرة (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) ومن إسمها اشتق إسم ليبيا. أما قدامى الإغريق والرومان فقد كانوا يعنون بـ «ليبيا» كل الأراضي الواقعة غرب مصر من برقة إلى طرابلس. وظل هذا الإسم قيد الإستعمال منذ تلك الأزمنة الموعلة في القدم وإلى يومنا هذا. وعرف السكان الذين يقطنون غرب الدلتا المصرية والواحات (النطرون والفيوم) بإسم التحنو (Tehno).

1- العلاقات الحضارية مع الممالك الفرعونية المصرية :

العهد الطيني (3100 – 2890 ق.م).

تم التعرف على مصادر مصرية عبارة عن نصوص ومناظر عامة وإشارات عابرة للوحدات من العهد الطيني أو بداية عهد الأسر الملكية المصرية أبرزها للملك نعرمر (مينا) والملك دجر عند جبل الشيخ سليمان بوادي حلفا. وتشير إلى إنتصاره على النوبيين (39 : 1961 Arkell) والليبيين (جاد الله 1968 : 48) .

2.1 الدولة المصرية القديمة (2686 – 2181 ق.م).

حدثنا المؤرخ الأغريقي هيرودوت عن أحوال ليبيا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . وتوالت بعده كتابات الكتاب والمؤرخين والرحالة والجغرافيين الكلاسيكيين من الإغريق والرومان . وأشارت بعض معلومات المؤرخين الكلاسيكيين إلى أن الملك سنفرو من الأسرة الفرعونية الرابعة (2613 – 2494 ق.م) ذكر في نص له يتعلق بليبيا إلى أنه أسر من التميحو (Temehu) سكان الجنوب الليبي (1100) أسير وإستولى على «1300» رأس من الماشية والأغنام . وتوضح نقوش للملك سجنور من الأسرة الخامسة (2494 – 2345 ق.م) مناظر حملة ضد الليبيين إنتهت بالحصول على غنائم لا يبلغها الحصر . ثم نجد المنظر نفسه سطرًا بسطر يصور الحادثة بعد أكثر من قرن من الزمان في هرم الملك بيبي الثاني (2345 – 2181 ق.م) وفيه يصور زعماء لبيين يحملون نفس الأسماء تماماً وحتى أسماء الزوجة ووالدي الأمير الليبي الأسير. ويتكرر ذات المنظر للمرة الثالثة في آثار الأسرة السودانية الملكية الخامسة والعشرين في معبد الملك تهارقا (690-664 ق.م) بالكوة أي بعد نقوش الملك ساجورع بحوالي 1800 عام (المرجع السابق: 62-43) . وتورد الوثائق النقشية للأسرة الملكية السادسة (2345-2181 ق.م) إلى رحلات كل من «أوني» و«حرقوف» وهما من كبار موظفي البلاط الملكي الفرعوني إلى أقوام من جنوب ليبيا وهم التميحو (Temehu). ويدون أوني «حاكم الجنوب» في مقبرته في أبيدوس إنه قاد جيشا ضد بدو آسيا في عهد الملك بيبي الأول وأن الجيش جهز من النوبيين (أبرشت، ماجوي ، واوات وكاو) ومن بلاد التميحو أو الليبيين (المرجع نفسه: 63) . ويرى بعض الباحثين أن رمسيس

الثاني (1304-1237 ق.م) إستخدم أيضا جنودا ليبيين في جيشه (المراجع والصفحة نفسها) .
وقدم حرقوف « حاكم الجنوب » في عهد الملك مرينر خليفة بيبي الأول (ثالث ملوك الأسرة السادسة: 2181-2345 ق.م)، وعلى جدران مقبرته في ألفتين Elephantine قصة رحلته إلى إقليم «يام Yam- » في النوبة ، ويذكر إنه تقدم حتى بلاد التميحو التي تبعد عن النيل بإتجاه الجنوب الغربي . ويقول إن مليكه أرسله للمرة الثالثة ليام. وأنه بدأ الرحلة من إقليم طينة متخذاً طريق الواحة فلم يجد رئيس «يام» الذى رحل إلى بلاد التميحو وأرضاه وصالح بينهما و أرسل إلى الملك يحيطه علماً بذلك . ومن المرجح إنه لم يقم بهذه الرحلة عن طريق النيل كما يظن البعض وإلا فقد كان أسير له أن يسافر بالنيل إلى الشلال الثاني على الأقل ليتفادى أو يتحاشى الصخور وجنادل النيل ومن المرجح أنه إستخدم طريق الأربعين (المراجع نفسه: 64) . ويميل الآثاري البريطاني أنتوني آركل (A.Arkell) إلى أن « يام Yam » التي بلغها حرقوف هي جزيرة صاي شمالي الشلال الثالث بالسودان (Op.cit : 42, Arkell 1961) .

3.1 الدولة المصرية الوسطى (1786 – 2050 ق.م) :

صممت المصادر التاريخية في فترة الإضمحلال الأولى (2050-2181 ق.م) عن ذكر (ليبيا) ولا يعرف من الوثائق الأثرية وقتذاك عنها شيئاً . وترفدنا السجلات الأثرية بمعلومات عن إستقرار قبائل ليبية في النوبة المصرية (النوبة السفلى) عرفت بالمجموعة النوبية ج (C-Group) . وهم على رأي بعض المؤرخين يمثلون جنس البحر الأبيض المتوسط (Mediterranean Race) . ولم تعرف لهم صفات زنجية وعرفوا باسم «التميحو Temehu » أي الليبيين الجنوبيين . وتجدر الإشارة الى أنه في شمالى ليبيا إتحدت قبائل الليبو (Libu) مع مجموعات عرقية مهاجرة من أمصار البحر الأبيض المتوسط أطلق عليها إسم «شعوب البحر Peoples of the Sea » . ويرى بعض الباحثين أنهم تحددوا أصلاً من جزر بحر إيجه . وأغارت قوة التحالف الليبي والبحر سطي على غرب الدلتا المصرية وإستقرت بها لزمان غير قليل تخللته حروب عديدة مع الدولة الفرعونية المصرية (أنظر جاد الله ،مرجع سابق : 64 ، 67 – 69 وأدناه)

4.1 الدولة المصرية الحديثة (1552- 1069 ق.م):

تذكر بعض نقوش هذه الفترة أن الملك سيتي الأول ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة للدولة الحديثة (1318 - 1304 ق.م) قد خاض حروباً عديدة ضد المغيرين من تحالف الليبيين الشماليين وأقوام «شعوب البحر» على الدلتا بغربي البلاد ولم تنتهي هذه الحروب إلا في عهد الملك مرنبتاح (1223-1236 ق.م) الذى تمكن من رد المغيرين وإجلائهم عن غرب الدلتا بعد جهد وقتال عنيف (المراجع نفسه : 68) . ولا يعرف الباحثون على وجه الدقة الأسباب التي دفعت هؤلاء المغيرين (الليبيون وشعوب البحر) للإستيغان في الدلتا المصرية وفضلاً عن ذلك لم يهتدوا إلى مصير المجموعة الأخيرة (شعوب البحر) . وهل إمتزجت بالسكان المحليين بعد إجلائهم عن الدلتا ؟ أم أنهم توجهوا بعد مغادرتهم الديار المصرية إلى جهات بعينها من الأراضي الليبية كإقليم فزان ؟ (أنظر المرجع نفسه : 71-70) . ويلزم التنويه إلى أن العلاقات الليبية والفرعونية المصرية لم تنقطع رغم ما إعتورها من نزاعات عسكرية خلال الدولة المصرية الحديثة .

وتظهر نقوش للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين خلال عهد رمسيس الثاني ، مرتباج ورمسيس الثالث(1304 - 1166 ق . م) أسماء ليبية عملت في البلاط الفرعوني (المرجع نفسه : 71) . ولا ريب أن ذلك يستدعي مزيداً من الدراسة والتحصيص بغية التعرف بصورة أكثر دقة على كنه العلاقات السلمية التي بلغت أوجها بظهور الأسرة الليبية الملكية (الأسر 22-24) والتي حكمت الدولة المصرية ما يربو عن قرنين من الزمان (709-945 ق.م) (أنظر : دفع الله 1999 : 338-339) . وليس من السهل التعرف على عمق العلاقات بين مصر الفرعونية وليبيا القديمة. ولاتسعننا سجلات ما قبل التاريخ بمعلومات عن طبيعة هذه العلاقات كما هو واضح بعض الشيء في العصور التاريخية اللاحقة. ونشير بأنه تم التعرف على أربعة عشرة حصناً في النوبة السفلى(أسوان- شمال حلفا) ترجع للمجموعة الحضارية-ج (2200- 1500 ق.م) التي على رأي بعض الدارسين كما تم تبيانها بعاليه تنتمي للقبائل الليبية الجنوبية(التميمحو) وتشكل خطراً عظيماً على طريق التجارة بين مصر والسودان(جاد الله، مرجع سابق:66-65). ويلحظ أن هناك تأثيراً حضارياً متبادلاً بين مصر الفرعونية وليبيا القديمة يظهر بشكل جلي على الصور والنقوش في عهد الدولة المصرية الحديثة(أنظر أدناه). وكان لإتصال سكان شمال أفريقيا (المغرب) بوجه عام والليبيين بوجه خاص بوادي النيل أثره على حضاراتهم وثقافتهم. فقد تأثر الليبيون بالعادات والتقاليد الفرعونية. واستطاع الملك الليبي شوشنق الأول السيطرة على مصر. وإستمرت الليبيون يحكمون مصر ماينيف عن قرنين من الزمان (715-950 ق.م) (Arkell 1961, Op.cit:114) وكان الليبيون يعبدون بعض الآلهة المصرية مثل حورس وإيزيس(جادالله ،مرجع سابق:58). ويذكر المؤرخ هيرودوت أن القبائل الشرقية الليبية في مدينة برقة (Barca) كانت لها عقائد وعادات المصريين وبعض أمور أخرى تشير إلى تأثر الليبيين بالحضارة المصرية الفرعونية(بازامة 1968: 88).

ومن ملامح التأثير الديني المصري على الليبيين رسوم بعض الأشخاص برؤوس حيوانات حملت فوق الرأس قرص الشمس(رمز الإله رع)،بالإضافة إلى أقنعة ذات طراز مصري صميم. وكانت الأفعى المقدسة، على جباه هذه الصور واضحة بشكل جلي. هذه وغيرها من المواضع التي تذكّر بمثيلاتها موضوعات الفن المصري القديم، نجدها في النقوش والرسوم التي إكتشفت من قبل الباحثين في تلك الأودية والجبال الصحراوية في جنوب ليبيا(المرجع نفسه:89-83).

ويمدنا السجل الآثاري بمعلومات تومئ إلى تأثير لبيي على التراث المصري في الدين والفن. وعلى سبيل المثال فإن المعبود «أوزوريس» سيد عالم ما بعد الحياة في الميثولوجيا المصرية أرجعه فلندرز بتري في أصله إلى الليبيين صراحة. وحتى الإله «ست» يرى البعض أنه لبيي سيما وأنه في عهد الأسرة الفرعونية الثانية(--28902686 ق.م) كان يحمل لقب «سيد ليبيا» كما عرف أيضاً بلقب «حامي الأرض الحمراء» أي الصحراء(المرجع نفسه:86-84) . وفي الجانب الفني لوحظ أن رسوم كثير من الآلهة المصرية، تينك الريشتان اللتان حملهما الليبي فوق رأسه طوال فترة التاريخ الفرعوني، وكذلك ذيل الحيوان(الأسد؛الثور؟). وستار العورة عند الذكور والتي لا يرسم الليبي بدونها إلا نادراً، موجودة في النقوش المصرية وحملتها بعض رسومات

الآلهة كما حملها بعض الفراعنة أيضاً (المراجع نفسه: 88-87).

2. العلاقات الحضارية بين دولة كوش السودانية وليبيا :

وتمدنا السجلات الآثارية بمعلومات تفيد بوجود علاقات ثقافية وحضارية بين السودان القديم (كوش - Kush) (900 ق.م - 350 ق.م) وليبيا (ليبو - Libu) في العصور العتيقة. ولعل أبرز الأدلة المادية على هذه العلاقات في فجر الحقبة التاريخية بين وادي النيل الأوسط (كوش) وليبيا القديمة لوحة الملكة تابيري (Tabiry) أحد زوجات الملك السوداني الشهير وفاتح مصر بعنخي (بيي - Piye). وكان عالم الآثار الأمريكي جورج رايزنر (G. Reisner) قد عثر على هذه اللوحة ورؤوس سهام حديدية ليبية في مدافن العائلة الملكية المروية في جبانة الكرو. كما تم التعرف على شظية من آنية الألباستر (المرمر) تنتمي كما يقول النص المنقوش عليها إلى «القائد باشيندباست ابن الملك (الليبي) شوشنق» وجد في مدفن إبنة الملك المروي أسبلتا (-593 586 ق.م) الأميرة أخيكاف في نوري (Nu.38).

(Reisner 1919A:37-67 and Reisner 1919 B: 237-254)

واعتقد الآثاري رايزنر أن زوجة الملك بعنخي (تابيري) تحمل لقب «سيدة التميحو العظيمة). والتميحو (Temehu) أو الطمياح هم السكان القدامى لجنوب ليبيا. وتمتد ديارهم من حدود مصر الغربية شرقاً حتى طرابلس غرباً. وسيطر التميحو على كل الواحات الممتدة عبر الصحراء الغربية لوادي النيل وانتشروا جنوباً حتى إقليم دارفور الحالي. وإستناداً إلى قراءة لوحة الملكة تابيري، فضلاً عن مجموعة من رؤوس السهام الليبية الطابع توصل رايزنر إلى رأي مفاده أن الأسرة الحاكمة المروية ذات أصول ليبية (ibid). بيد أن الدراسات الآثارية الدقيقة أثبتت خطأ هذا الرأي نتيجة خطأ في قراءة اللقب بسبب طريقة الكتابة بالمقاطع التي إتبعها المصريون في كثير من الأحيان. ومراجعة الكتابات المختلفة - كما ذكر محمد إبراهيم بكر في مؤلفه «تاريخ السودان القديم» - التي وردت في كثير من النصوص الفرعونية الأخرى في القاموس الكبير للغة المصرية ببرلين والخاصة بكلمة التميحو (الطمياح) ، يتضح أن قراءة رايزنر لتلك الكلمة بعيدة عن الصواب (بكر: 1996: 109-106). والصحيح أن تكون القراءة «سيدة (أو كبيرة) البلاد الأجنبية» أو «سيدة أهل الصحراء» على رأي برايان ج هيكوك أستاذ التاريخ القديم السابق بجامعة الخرطوم. (Haycock 1968:3) وفيما يخص السهام الليبية الصنع، يلاحظ أن عدد السهام الليبية يبلغ (32) بينما النوع المحلي الشكل يصل إلى (39) سهماً ؛ أي أن عدد السهام المحلية أكثر من الأجنبية. فالأخيرة (المحلية) تتميز بأنها مجنحة وإنتشرت في بقاع واسعة في وادي النيل منذ عصور ما قبل التاريخ حيث عثر على نماذج منها في كل من مصر (الفيوم والبداري) والسودان (حضارة الخرطوم الباكراة التي تم التعرف على موقعها النموذجي في منطقة مستشفى الخرطوم التعليمي الحالي (Arkell 1961, Op.cit:114, 119) (1949, Op.cit.:76). وبهذا لا يمكن إعتبار رؤوس السهام الليبية دليلاً يعتمد عليه للقول بالأصل الليبي للأسرة الحاكمة في نبتة ومروي (900 ق.م - 350 ق.م). ويرى بعض الباحثين (جريفيز ومكادم) أن بعض أسماء الأسرة الملكية السودانية (نبتة-مروي) ليبية مثل تهارقه ، أمطالقه ، وأماني سطارقه وغيرهم . غير أن هذا المقطع الأخير (رقه) هو ذات

المقطع الذى إستمر ظهوره فيما بعد في نهاية الأسماء النباتية والمروية سواء الملكية أو الخاصة بالأفراد والذى ترجمه البعض على أنه مقابل لكلمة «المبجل» أو «المحترم» أي أن المقطع المذكور عبارة عن جملة مستقلة تضاف دائماً إلى الإسم ، وربما كانت تقرأ معه كما يظهر من كتابتها بالحروف الهيروغليفية ضمن أسماء ملوك الأسرة الملكية السودانية مثل تهارقة وغيره (بكر، مرجع سابق 109: - 115) . وتجدر الإشارة إلى مسألة بعنخي التي توضح إستهجان هذا الملك السوداني سلوكيات الحكام الليبيين والمصريين الذين كانوا أكلهً للسمك بالإضافة إلى كونهم - على رأي بعنخي - غير مختونين (uncircumcised) ونعتهم بالدونية. ولعل هذا التصرف للملك بعنخي جعل بعض علماء الآثار (كاتزلنس الروسي، وليكلانت الفرنسي وآركل البريطاني وبكر المصري وغيرهم) يستبعدون الأصل الليبي ويرجعون - بالإضافة إلى الأدلة المبينة أعلاه - الأصل المحلي السوداني للبيت الحاكم في بنه ومروي القديمة سيما وأن العناصر المحلية في الحضارة الكوشية (النبتية - المروية) وبخاصة عادات الدفن وعادة لبس الرجال للحلي توحى إلى أن هؤلاء الأقوام كانوا يقطنون في مكان بعيداً عن المناطق التي كانت في متناول الأثر المصري وأنهم ربما خرجوا من مروي البجراوية التي أصبحت عاصمة للدولة الكوشية - المروية (المرجع نفسه : 119) . وبإمكاننا القول، إن ثمة صلات ثقافية وحضارية بين السودانيين والليبيين تبدو جلية، خاصة وأن مصر الليبية (الأسر الثانية والعشرون وحتى الرابعة والعشرون) ظلت على مدى عقود من الزمان الجار الأقرب جغرافياً للسودان ، وتمتدنا الموجودات الأثرية بأدلة على وجود قبائل ليبية كانت تقطن الصحراء إلى الغرب على مقربة من وادي النيل. وربما تفسر ذلك - كما يرى بعض المؤرخين - وجود كميات من رؤوس السهام المجنحة التي تظهر تشابهاً مع نظائرها في جبانة الكرو بشمال السودان (Arkell 1961, Op.cit:114,119) ومواقع أخرى بوسط البلاد (Arkell 1949, Op.cit:76, Fig.50) وتشير بعض المصادر التاريخية إلى هجرة مجموعات كوشية من وادي النيل الأوسط (السودان) بإتجاه الغرب والشمال الغربي وصلت حتى ساحل أفريقيا الصغرى المطل على البحر الأبيض المتوسط وعلى المحيط الأطلسي. وانتقلت أعداد منهم إلى الجزر القريبة من هذين الساحلين. ويؤيد ذلك - كما يذكر الشاطر بصيلي عبدالجليل - ما نجده من تقارب بين اللغة النوبية وتلك التي يستخدمها الشلح والجواشان من سكان المغرب الأقصى. وكان أن رجعت مع هؤلاء المهاجرين جماعات إثنية (عرقية) إلى وادي النيل الأوسط بسبب الأحوال المناخية المتغيرة والتي نجم عنها حرمان الإقليم الكبير الذي نعرفه الآن بالصحراء الكبرى من موارد المياه وإنخفاض مستوى المياه الجوفية التدريجي ، وتحول الأراضي الواسعة الخصبة إلى صحراء جرداء. وعرفت هذه المجموعات التي وفدت إلى وادي النيل باسم «النوماد - Numad» الذي تحول فيما بعد إلى نوباديا ونوباتيا ونوبايا ونوبا وغير ذلك منذ أوائل العهد الهيليني (القرن الرابع قبل الميلاد). وجاءت المجموعة الأخيرة حوالي القرن الرابع الميلادي (عبدالجليل 66-1972: 64). وتورد بعض السجلات التاريخية إلى أن إنتقال هذه المجموعات الكوشية - السودانية هنا وهناك في المنطقة الواقعة بين أرض مروي شرقا وبلاد المغرب غربا وإختلاطها مع عدد غير قليل من الإثنيات الأخرى في تلك الأصقاع كان له أثره في اللغة والعقيدة وتنظيمات المجتمع خلال الفترة النباتية - المروية ومصر - الليبية المعاصرة لها وفي عصور التاريخ

—— ملامح من تاريخ العلاقات الحضارية بين ليبيا وممالك وادي النيل الفرعونية -

اللاحقة. (المراجع نفسه : 63-65) . ومما سبق ذكره، بإمكاننا الخلوصل إلى أن الروابط التاريخية (الإثنية والثقافية والحضارية) بين ممالك وادي النيل الفرعونية (مصر والسودان) وليبيا وأقاليم متفرقة من أمصار المغرب الأقصى ليست وليدة الحاضر الماثل بل يبدو أنها ذات جذور ضاربة في أغوار التاريخ إذ تمثل برمتها أرخبيلًا حضاريًا لعب دوراً مهماً في كتابة صفحات بارزة من ماضي وادي النيل وأفريقيا شمال الصحراء الكبرى.

المصادر والمراجع:

العربية:

- (1) بازامة ، محمد مصطفى 1968 م . « تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها» ، في : ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي بكلية الآداب ، الجامعة الليبية ، بنغازي ، 16-23 مايو 1968 : 83-97 .
- (2) بكر ، محمد إبراهيم 1996 م . تاريخ السودان القديم ، دار القومية العربية للثقافة والنشر ، القاهرة .
- (3) جاد الله ، فوزي فهم 1968 م، «مسائل في مصادر التاريخ الليبي»، في: ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي بكلية الآداب، الجامعة الليبية، بنغازي، 16-23 مايو 1968 : 43- 81.
- (4) دفع الله ، سامية بشير 1999 م . تاريخ الحضارات السودانية القديمة. دار هایل للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم.
- (5) عبدالجليل، الشاطر بصيلي، 1972 م . تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

الأجنبية:

- (6) Arkell, A.J. 1949 Early Khartoum. London.
- (7) Arkell , A.J 1961 A History of the Sudan from the Earliest times to 1821. London.
- (8) Haycock, B.G.198.. “ Towards a Better Understanding of the Kingdom of Cush (Napata Meroe): Sudan Notes and Records 49:1-3.
- (9) Reisner, G.A. 1919 A, “ Outline of the ancient history of the Sudan IV. The first kingdom of Ethiopia” ,Sudan Notes and Records : 35-67
- (10) Reisner, G.A. 1919 B,”Discovery of the tombs of the Egyptian xxvth Dynasty at El-kurruw in Dongola Province” , Sudan Notes and Records ii: 237-254.

أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد (1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً)

محاضر - جامعة الملك فيصل - انجمينا - تشاد

أ.عبد الواحد محمد داود

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - جامعة كردفان

د. يسرية موسى أحمد جمال الدين

المستخلص:

تمثلت مشكلة الورقة في الفترة التي مكث فيها المستعمر في منطقة تشاد ليست بالقصيرة ، وحاول المستعمر الفرنسي علي أن يفرض ويحتم علي الدول المستعمرة بسط ثقافته بكل أنواعها سياسيا واجتماعيا وروحيا ، والعمل علي محو الحضارات الإفريقية بشتى السبل ، مما ترك آثار سلبية علي المجتمع التشادي علي وجه الخصوص لا سيما ممكلة كانم وهذا ما خلق واقعا يقتضي البحث والدراسة . هدفت إلى تبصر الشعب التشادي لسلب ونهب الاستعمار الفرنسي لخيرات بلاده وإيضاح أثره الحضاري والثقافي على المجتمع التشادي والذي مازال يتلون بشتى الأسماء من منظمات عون إنساني ومشاريع تنمية ووحدات تهجير ومنظمات كنسية وقوات أمنية لمحاربة الإرهاب لينهب أكثر. وأيضاً إلى محاولة إيقاظ هذا الشعب لمناهضة هذه الأساليب الحديثة للاستعمار الفرنسي لدولته والعمل على الحد منه بقدر المستطاع. كما يهدف البحث إلى سد ثغرة من ثغرات البحث العلمي المرتبط بتاريخ الاستعمار في تشاد ويكون أيضاً مدخلا مناسباً لدراسات علمية جادة من المجالات التي لم تتناولها هذه الدراسة . منهج البحث: المنهج التاريخي: سرد الأحداث وفحصها وتتبعها علي حسب التسلسل الزمني توصلت الورقة الي عدد النتائج منها: ومع مجيئ المستعمر أرض تشاد سخر الدين المسيحي لخدمة اهدافه ، وتستخدم المدارس لنشر اللغة الفرنسية والثقافة الاوربية ، وسعى بكل ما يملك للقضاء علي اللغة العربية والثقافة الاسلامية والتراث القومي التشادي، هذا لم يكتفي المستعمر الفرنسي بفرض لغته وثقافته بل قام برسم المناهج التعليمية بهدف مسح الثقافة التشادية في اطار سياسة فرنسة النخبة . اوصت الورقة بعدة توصيات منها ضرورة ايجاد متحف يتم فيه جمع المخطافات الأثرية خاصة للممالك الاسلامية الثلاثة حتى يسهل للباحثين دراسة تاريخ هذه الممالك، لابد من رسم استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات التي تواجه الثقافة الاسلامية، المطالبة باسترجاع الوثائق التي اخذتها فرنسا من تشاد فترة الاستعمار وبعده، الاهتمام بطباعة ونشر المخطوطات التي تناولت قضايا مقاومة الممالك الاسلامية للاستعمار في الدول الافريقية.

الكلمات المفتاحية: إستعمار- فرنسي - ثقافة - تشاد - ممكلة كانم برنو.

The impact of French colonialism on the culture of Chad (1920-1960AD)

(The Kingdom of Kanem as a model)

Abdel Wahid Mahmat Daoud

Dr.Yosreya Musa Ahmed JamalEdein

Abstract:

The problem of the paper was the period in which the colonizer stayed in the Chad region for quite some time, and the French colonizer tried to impose and dictate on the colonial countries the extension of his culture of all kinds politically, socially and spiritually, and work to erase African civilizations by various means, which left negative effects on Chadian society on the face The elite, especially the kingdom of Kanem, and this is what created a reality that requires research and study. It aimed at the Chadian people's insight into the plundering and plundering of the country's wealth by French colonialism, and to clarify its civilizational and cultural impact on Chadian society, which is still colored by various names, including humanitarian aid organizations, development projects, displacement units, church organizations, and security forces to fight terrorism in order to loot more. And also to try to awaken this people against these modern methods of French colonization of their country and to work to reduce it as much as possible. The research also aims to fill a gap in scientific research related to the history of colonialism in Chad, and it is also an appropriate introduction to serious scientific studies in areas that were not covered by this study. Research methodology: the historical method: narrating, examining and tracking events according to the chronological sequence The paper reached a number of results, including: With the advent of the colonizer, the land of Chad, he harnessed the Christian religion to serve his goals, and schools were used to spread the French language and European culture, and he sought everything he had to eliminate the Arabic language, Islamic culture, and Chadian national heritage. This was not enough for the French colonizer to impose his language and culture, but rather he Drawing educational curricula with the aim of deforming the Chadian culture within the framework of the elite French policy. The

paper recommended several recommendations, including the necessity of creating a museum in which the archaeological remains, especially of the three Islamic kingdoms, will be collected in order to facilitate the study of the history of these kingdoms for researchers. By printing and publishing manuscripts that dealt with the issues of the Islamic kingdoms' resistance to colonialism in African countries.

Keywords: colonialism - French - culture - Chad - Kingdom of Kanem Bornu.

مقدمة:

شهدت أوروبا في نهاية القرون الوسطى تطورات تكنولوجية هائلة، خاصة في مجال الملاحة، حيث تمكنت السلطات المركزية الأكثر استقراراً من تمويل مشاريع طموحة شملت إرسال بعثات الملاحين والجنود والمستوطنين إلى مواقع تبعد عن بلدانهم الأصلية، كما ارتبطت ظاهرة الاستعمار بالنهضة الأوروبية وعصر الاستكشافات وتعزيز السلطات المركزية في كل من البرتغال وإسبانيا وبريطانيا وفرنسا وبعض الممالك الإيطالية. الاستعمار هو ظاهرة بهدف سيطرة دولة قوية علي دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب لمعظم ثروات البلاد المستعمرة فضلاً عن تحطيم كرامة تلك الشعوب وتدمير تراثها الحضاري والثقافي.

بيد أن الأوروبيين وعلي رأسهم فرنسا عندما تكالبوا علي أفريقيا في القرن التاسع عشر بغرض السيطرة عليها لم يجدوا إكليلاً من الورود، بل وجدوا الشعب الإفريقي رافضاً لهم الاستسلام فقاومهم بشراسة ومن تلك الدول التي واجهت المستعمر دولة تشاد (الممالك التشادية) حيث وقفت تلك الممالك بكل بسالة وثبات ويرجع ذلك بسبب تشبعهم بالثقافة الدينية العالية.

مشكلة البحث :

الفترة التي مكث فيها المستعمر في منطقة تشاد ليست بالقصيرة، وحاول المستعمر الفرنسي علي أن يفرض ويحكم علي الدول المستعمرة بسط ثقافته بكل أنواعها سياسياً واجتماعياً وروحياً، والعمل علي محو الحضارات الإفريقية بشتى السبل، مما ترك آثاراً سلبية علي المجتمع التشادي علي وجه الخصوص لا سيما ممكلة كانم وهذا ما خلق واقعا يقتضي البحث والدراسة.

أهمية البحث :

هذا الموضوع يعتبر ميداناً خصباً ولا يزال ينتظر جهوداً كبيراً من كل المهتمين بدراسة التاريخ خصوصاً في هذا العصر، فجاءت أهمية هذه الدراسة لإلقاء الضوء علي الشعوب الإفريقية التي تأثرت بالاستعمار الأوروبي أيما تأثير.

كما أن تأثير الشعب التشادي بالاستعمار الفرنسي كان كبيراً ويرجع ذلك لعدة أسباب منها طبيعة الاستعمار المباشر من ناحية، وطبيعة اختلاف الشعب التشادي المتمثل في الجنوب الوثني والشمال المسلم من ناحية أخرى، كل هذا مما جعل المستعمر ينتهز هذه الفرصة لترك بصمته التي يعاني منها الشعب التشادي إلي اليوم، لذا من خلال هذه الدراسة نبحث عن مدى تأثير الاستعمار الفرنسي علي دولة تشاد من

عدة جوانب كالثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخ

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تبصر الشعب التشادي لسلب ونهب الاستعمار الفرنسي لخيرات بلاده وإيضاح أثره الحضاري والثقافي على المجتمع التشادي والذي مازال يتلون بشتى الأسماء من منظمات عون إنساني ومشاريع تنمية ووحدات تهجير ومنظمات كنسية وقوات أمنية لمحاربة الإرهاب لينهب أكثر. وأيضاً إلى محاولة إيقاظ هذا الشعب لمناهضة هذه الأساليب الحديثة للاستعمار الفرنسي لدولته والعمل على الحد منه بقدر المستطاع. كما يهدف البحث إلى سد ثغرة من ثغرات البحث العلمي المرتبط بتاريخ الاستعمار في تشاد ويكون أيضاً مدخلا مناسباً لدراسات علمية جادة من المجالات التي لم تتناولها هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

أ / سبب ذاتي الرغبة والميول.

ب / سبب موضوعي: يكمن في الحالة المتردية لدولة تشاد في شتى المجالات والنتائج من أثر الاستعمار الفرنسي الذي شل مفاصل الدولة لذا تبحث هذه الدراسة في معرفة الأسباب الحقيقية لهذا التردّي ومن خلال معرفة الداء يمكن أن نجد الدواء.

منهج البحث: المنهج التاريخي: سرد الأحداث وفحصها وتتبعها علي حسب التسلسل الزمني

الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية:

أ / الحدود الزمانية: من 1920 - 1960

ب / الحدود المكانية: دولة تشاد (ممكّلة كانم)

ج / الحدود الموضوعية: أثر الاستعمار الفرنسي على ثقافة دولة تشاد

الدراسات السابقة:

1. إجلال محمد رأفت، تشاد دراسة تحليلية لجذور وطبيعة الحرب، مصر ، القاهرة ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، صدرت الدراسة من 55 صفحة خمسة أجزاء ، تطرق فيها الأوضاع في تشاد قبل الاستعمار وأثناء الاستقلال والدور الفرنسي فيه .
2. إبراهيم محمد إسحاق، أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والإستقرار السياسي في دولة تشاد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب قسم الجغرافيا 1988م (ماجستير) تحدث عن دولة تشاد وتطورها السياسي إضافة إلي الصراعات السياسية والحرب الأهلية ، كما تطرق إلي الوضع السياسي والمراحل التي مرت بها .

المحور الاول: بداية الزحف الصحراوي نحو إفريقيا وستنزاف موارد تشاد

أولاً: الوضع السياسي لدولة تشاد قبل الاستعمار الفرنسي

قبل ظهور دولة تشاد بهذا الاسم الحديث كانت هذه المنطقة في السابق تسمى ببلاد السودان الاوسط وهي تضم مجموعة من الممالك الاسلامية. وأن الأبحاث والمكتشفات الأثرية دلت علي وجود حضارات قديمة قامت حول بحيرة تشاد شيدها السكان منذ زمن طويل. (1)

قد كشف علماء الآثار عن عدة حقائق في هذه المناطق تدل على أن معظم السكان يشتغلون بالزراعة ثم عرفوا صناعة الأواني الفخارية وتعلموا بعدها صهر الحديد التي نقلوه من الكوشيين، واتخذوا منها آلات وأسلحة وصنعوا تماثيل من الطين المحروقة بأسلوبهم الخاص، وبنوا المدن ذات القلاع الحصينة. سيطر الأوروبي على القارة الأفريقية وحاولوا السيطرة على المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وقد نجح في ذلك على حد كبير وأمن مصالحهم، لكنه في الوقت نفسه كانوا يهيئون بأساليبهم المتوحشة وبصورة غير مباشرة... لأسباب نهوض الحركة القومية الأفريقية التي بدأت بالنمو التدريجي على مر السنين في ظل السيادة الاستعمارية، وعلى الرغم من محاولات المستعمر الإبقاء على تركيب المجتمع القديم المتخلف، بحجة الحفاظ على العادات والتقاليد تحت مسميات الإناسة أو الأنثروبولوجيا الحديثة التي ارتبطت بالاستعمار ارتباطاً وثيقاً وصارت خارقة له.⁽²⁾ كما اضطر المستعمر إلى تطوير بعض عناصر المجتمعات الرئيسية بطرق غير مباشرة، ومن خلال الوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي أسهمت في تقويض أركان المجتمع القديم، وجد المستعمرون أنفسهم في النهاية أمام نتائج واتجاهات متناقضة فقد وجدوا أن المجتمع الجديد بدأت تظهر فيه حركة وعي عالية وتنغرس فيه أصول مجتمع حديث يفضي في النهاية إلى يقظة فكرية وعوي سياسي عالي.⁽³⁾ شاء المستعمرون أو لم يشاء! وحين قامت الحرب العالمية الثانية كانت تشاد جزءاً من أفريقيا الاستوائية الفرنسية*⁽⁴⁾، التي تشمل منطقة واسعة من وسط القارة وجنوبها، ويحكم منطقة تشاد الحاكم الفرنسي «فليكس إبويه» وهو غريب ينتمي إلى (غواد لوب)، إحدى جزر البحر الكاريبي، وعندما هزمت فرنسا أمام ألمانيا انقسم الفرنسيون إلى قسمين، أطلق على أحدهما اسم حكومة (بيتان) وهي تتبع ألمانيا، وعلى الآخر فرنسا الحرة وتزعّمها «ديغول» الذي صار يدير شؤون الجند من انجلترا، وأصبحت تشاد مركزاً لثموين جيوش الحلفاء التي قاتلت في الصحراء، وقاعدة لحريك الجيوش التي دخلت ليبيا وتونس⁽⁵⁾. ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية، كان بداية لميلاد عالم جديد يتسم بتطورات متسارعة في شتى جوانب الحياة الإنسانية، فعلى الصعيد العالمي، برزت قوتان عظيمتان، هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وسعيا بكل جهد لتصفية الإمبراطوريات الاستعمارية القائمة من أجل أن يحلو محلها، مع أن لكل منهما استراتيجيته وأيديولوجيته الخاصة به. حيث بدأت جهودهما يخلق توازنا جديدا في القوى مع بدايات العقد الرابع من القرن العشرين، ووقعت عدة اتفاقيات التي تدعو إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها، وحفظ السلام والأمن الدوليين، وتبع ذلك ميلاد منظمة الأمم المتحدة في 26 يونيو عام 1945م. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت ارهاصات نهاية مرحلة الاستعمار... فسارعت فرنسا بعقد المؤتمر الأفريقي الفرنسي، الذي تم تنظيمه والدعوة إليه من قبل اللجنة الفرنسية للتحرر الوطني التي يرأسها الجنرال «ديغول»، والتي تكونت في الجزائر عام 1943م، وانهقد المؤتمر في مدينة برازا فيل العاصمة الحالية لجمهورية الكونغو، في الفترة من 30 يناير إلى 08 فبراير عام 1944م، حضره حكام الأقاليم الأفريقية المستعمرة وكبار الموظفين. وخلص المؤتمر إلى توصيات اجتماعية واقتصادية وإدارية. إلا أن الأسباب الحقيقية لعقد المؤتمر هي تأكيد سلطة فرنسا على مستعمراتها الأفريقية، مع إقامة علاقات جديدة بينها وبين مستعمراتها، لسد الطريق أمام القوى الجديدة (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي)⁽⁶⁾.

ظهرت معظم الإصلاحات السياسية التي كان أساسها قرارات مؤتمر برازافيل، والقوانين التي وافقت عليها أول جمعية تأسيسية خلال الشهور الأولى لعام 1946م، وتعتبر الإصلاحات التي أنجزت خلال تلك الفترة القصيرة تفوقاً كبيراً على فترة ما قبل عام 1939م، وبدأت بصورة أو بأخرى عودة الأفكار الليبرالية للثورة الفرنسية. ففي عام 1947م أصدرت الجمعية التشريعية الفرنسية التالي: إقرار حق الاجتماع والتجمع، ومقتضاه أصبح تكوين الأحزاب أمراً قانونياً، وكذا النقابات العمالية. إلغاء الممالك والنظم الأهلية (Indigénat).

إلغاء اختصاص المحاكم الأهلية والخضوع للقانون الجنائي الفرنسي⁽⁷⁾.
في سنة 1956م صدر عن الحكومة الفرنسية قانون جديد عرف بقانون الإطار، الذي تكمن أهميته في كونه سمح بإنشاء حكومة برلمانية في إقليم ما وراء البحار، وبموجب هذا القانون صار الحاكم الفرنسي بمثابة رئيس الدولة البرلماني (بدون سلطة فعلية)، كما نص القانون على تكوين مجلس للحكومة من الوزراء، ونائب رئيس، ويعد الرئيس الفعلي للمجلس، ومنح هذا القانون المجالس الإقليمية صلاحيات واسعة لتنظيم الأمور الداخلية في الأقاليم، كما نص على حق المواطنين من الجنسين في الانتخابات بشرط بلوغهم سن (21) عاماً، وبشرط تسجيل أسمائهم في القوائم الانتخابية⁽⁸⁾.

وبعد أن حصل الشعب التشادي على حقوقه في الترشح والانتخاب واختيار ممثلين له في الحكومة بموجب (قانون الإطار - Loi cadre) زاد الشعب من نضاله السياسي ومطالبته بحقوقه الكاملة وازدادت الأمور تعقيداً بالنسبة لفرنسا، فتطورت الثورات السياسية في المستعمرات الفرنسية في أفريقيا وخاصة في تشاد، والحرب الجزائرية والركود السياسي في فرنسا نفسها، لم يستطيع الزعماء الفرنسيون في ذلك الوقت أن يجمعوا رأي الشعب الفرنسي ويوحده... حيث تجري أعمال العنف ضد الاستعمار الفرنسي في كل المستعمرات في أفريقيا وغيرها وأوشكت فرنسا أن تفقد وجودها الاستعماري، فلجأ الجنرال (ديغول) رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة إلى أساليب الخداع والمراوغة تجاه شعوب المستعمرات مرة أخرى، لجعلها تدور حول نفسها، وحتى لا تفقد فرنسا مستعمراتها، وقام (ديغول) بالاعتراف بحق تقرير المصير لشعوب أفريقيا السوداء، وأصدر قانون الاستفتاء عام 1958م، ويكون الاستفتاء بنعم أو لا، والدولة التي تصوت بنعم تكون ضمن الأسرة الأفريقية الفرنسية وتتحصل على الآتي:

. الاستقلال الداخلي التام.

. إعلان البلد ان كجمهوريات

. اصدار دستور يخص البلد.

. الاستقلال الكامل في المستقبل دون قيد أو شرط متى ما أراد الشعب ذلك.

وجرى الاستفتاء في المستعمرات بتاريخ 31 سبتمبر عام 1958م⁽⁹⁾.

ومن أهم الإصلاحات الإدارية التي أدخلها قانون الإطار في تشاد، تأسيس مجلس حكومي كنوع من السلطة التنفيذية المحلية، ومجلس إقليمي، وإنشاء حق التصويت الجماعي العلني، بالإضافة إلى هيئة الناخبين. وهذا يعني أن قانون الإطار قد مهد لإزالة الإدارة الفرنسية الاستعمارية الفرنسية عن تشاد، وساهم أيضاً في إرساء الأجهزة التنفيذية والتشريعية في البلاد، وبالتالي نتج عنه تخفيف قبضة الحكام والإداريين

الفرنسيين، وارتفاع عدد أعضاء المجلس المحلي، حيث أصبحت الأغلبية فيه للتشاديين، وتقرر لأول مرة أن يكون لتشاد مجلس تنفيذي بمثابة مجلس وزراء يرأسه حاكم إقليم، ويكون نائبه أحد زعماء الأحزاب التشادية الحائزة على أغلبية الأصوات في المجلس المحلي، وعليه اقتربت تشاد بعض الشيء من الحكم النيابي⁽¹⁰⁾. إلا أن الشعوب الأفريقية ومن بينها شعب تشاد لم تتمكن من الاستفادة بسرعة من هذه السياسية الجديدة، نظراً لأنها ظلت تنظر إلى الفرنسيين على أنهم شعب يتفوق عليهم وينبغي الاقتداء بهم. كما أنها كانت تميل إلى الاهتمام بشؤونها القبلية أكثر من الشؤون القومية العامة⁽¹¹⁾.

صار التصور السياسي السائد بين النخب التي تم تأهيلها من قبل الإدارة الفرنسية، هو أن تقدم وتطور تشاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً باتباع أساليب الحكم والنظام الفرنسي، ولذا أصبحت هذه الطبقة رهينة التوجهات الفرنسية في عملية التطور السياسي والاجتماعي والثقافي في البلاد⁽¹²⁾. ولهذا اعتمدت على المستعمر حتى في سنّ الأنظمة الدستورية التي لا يمكن فصلها عن إطار علاقتها ببيئتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فهي أنظمة حية تستمد مصادر الحياة من التفاعل بين العناصر التي تدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين النظام السياسي فأداء المؤسسات الدستورية يرتبط بواقع القوى السياسية التي تتولى إدارة هذه المؤسسات⁽¹³⁾.

ومعلوم أن للدولة هدفاً أخلاقياً يهدف لتكوين المواطن الصالح والمجتمع الفاضل فيها، فعندما تنجح الدولة عن طريق التعليم والقوانين في إيجاد حياة ثرية بالمثل الرفيعة والأفعال السديدة، فإنها في هذه الحالة تحقق الغرض الذي أنشأت من أجله⁽¹⁴⁾.

ثانياً: البعثات الاستكشافية ودورها في استعمار افريقيا:

بدأ قصة الكشوف الجغرافية الأوروبية لإفريقيا من القرن التاسع عشر، بل بدأت منذ نهاية القرن الخامس عشر، فحينما كانت أوروبا في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل من الهند؛ فبدأت تعتمد على طريق البحر الأحمر، ثم البحر المتوسط ومنه إلى أوروبا، وعندما فكر الأوروبيون في إيجاد طريق آخر يصلون من خلاله إلى الشرق، لإنهاء احتكار العرب والمسلمين لتلك التجارة، بدأوا بالكشوف البحرية حول إفريقيا، وتمكنوا من الوصول إلى ساحل الذهب (غانا)، ثم مصب نهر الكونغو⁽¹⁵⁾.

الجمعيات الجغرافية الأوروبية ودورها في استكشاف إفريقيا:

من أهم ما ساعدهم على تنفيذ تلك الأهداف إنشائهم العديد من الجمعيات الكشفية، حيث أنشأت الجمعية الجغرافية في باريس عام 1821م، ثم جمعية برلين عام 1828م، ثم الجمعية الجغرافية الملكية في لندن عام 1830م، وجمعيات أخرى عديدة حتى بلغ تعداد الجمعيات الأوروبية (مائة جمعية)، وإنضم إليها قرابة: (50 ألف عضو)، وأكثر ما عبر به الأوروبيون عن إهتمامهم باستكشاف إفريقيا هو ما سموه بمصطلح: (التدافع نحو إفريقيا Scramble for Africa)، وذلك حين كانت هناك أسباب حقيقية لإجراء كشوف جغرافية لإفريقيا المجهولة بالنسبة إليهم، ومن ثم وضعوا أهدافاً لتلك الكشوف، جعلت من الممكن بسط نفوذهم ووصولهم إلى ما أرادوه، وهو السيطرة الكاملة للموارد الإفريقية⁽¹⁶⁾.

لقد شهد القرن التاسع عشر نشاطاً مكثفاً من قبل البعثات الاستكشافية الأوروبية ورجال الاستطلاع الأوروبيين لمنطقة السودان وتشاد. فمن الشرق دخلت بعثة بريطانية في الأراضي السودانية وفي عام 1835م

عبر الصحراء من طرابلس كل (من كلاريرتون وتنهام وادوني) ووصلوا إلى بحيرة تشاد ونهر شاري.⁽¹⁷⁾ وتعاقبت الرحلات بعد ذلك حيث وصلت مجموعة بقيادة جيمس ريشاردسون سنة 1845م ضمت بارث الألماني ووفر فنج وفوجل والذين تمكنوا من الوصول إلى وداي ولكنهم ماتوا جميعا في وداي حيث قتلوا كما حدث للأخير فوجل سنة 1856م ولم يرجع منهم سالما إلا بارث الذي نشر ما جمعه من معلومات بعد عودته لبريطانيا وكان لها اثر كبير في النشاط الاستعماري بعد ذلك في المنطقة.⁽¹⁸⁾

أهم البعثات :

بعثة بول كرامبيل : قام بول كرامبيل والذي كان يعمل سكرتيرا لدى برازا بعدة رحلات استطلاعية إلى أفريقيا الاستوائية، ونظرا لمعرفته السابقة بالمنطقة، فقد تم اختياره على رأس البعثة التي أوفدها لجنة أفريقيا الفرنسية لاستكشاف المنطقة الواقعة بين الكونغو وحوض بحيرة تشاد.⁽¹⁹⁾

بعثة ديوفسكي : في عام 1892م في السنة التي قتل فيها بول كرامبيل والتي قد كانت أعدت في باديء الأمر لمساندة كرامبيل، وتوجهت البعثة عبر نهر «أووك» ولكن توقفت مسيرة البعثة بسبب موت قائدها، من مكان يقع مسافة 200 كيلو متر من أراضي داركوتي.

بعثة موتين : الذي قام من القاعدة الفرنسية في سان لويس بالسنگال والذي وصل إلى منطقة تشاد في 10/4/1892م⁽²⁰⁾

بعثة «ماستير» بين عامي (1892- 1893) : والذي انطلقت من برازيل وقطعت انهار الكونغو، واوبانغي-، وشاري، إلى دار سارا (تشاد)، ووقع اتفاقات بين الزعماء المحليين بمناطق الجنوب التشادي؛ وهذه البعثة توغلت داخل الجنوب.

وفي 21 نوفمبر 1892 م وصل «ماستير» إلى «لاي» وواصل طريقه نحو الجنوب حتى وصل إلى «كيلو» التي أطلق عليها في البداية «مستيرفل» وبالا، وغارواه وفي 29 يناير 1893م وصل إلى منطقة يولا في نهر «بيونيه» وعاد، عن طريق نهر. النيجر، لأن نفوذ رابح المتزايد منعه من العودة من طريقه الاول. تمكنت بعثة «ماستير» من جمع معلومات جغرافية كثيرة ويشيرة بالإضافة إلى تهيئة كل الظروف لمد النفوذ الفرنسي في تشاد.

وهذه الاعداد الهائلة من البعثات الفرنسية، تثبت بلا شك أن هناك أهمية كبرى لمنطقة حوض بحيرة تشاد في السياسة التوسعية الاستعمارية والاستيطانية لاحتلال مناطق أفريقية الاستوائية ولقطع الطريق أمام ألمانيا، وإيطاليا، وبريطانيا للوصول إلى منطقة بحيرة تشاد.⁽²¹⁾ وهكذا فإن البعثات الأوروبية والفرنسية تحولت من بعثات علمية أو تجارية إلى بعثات تستهدف الاستعداد للغزو والهيمنة الاستعمارية، ومد النفوذ، ولوضع اليد على المناطق المستكشفة حديثا وبالذات منطقة حوض بحيرة تشاد.

أهداف البعثات الفرنسية في تشاد:

تمثل هذه البعثات والتي يدعمها كبار الساسة الفرنسيين ورجال الاعمال والشركات الرأسمالية ورجال التنصير والباحثين في فرنسا إلى تحقيق الأهداف التالية:
التعرف على حقائق الواقع في منطقة حوض بحيرة تشاد.

إعداد التقارير الكاملة عن إمكانية احتلال تشاد.

قطع الطريق أمام الدول الأوروبية الساعية إلى احتلال منطقة بحيرة تشاد، مثل ألمانيا و إيطاليا تطبيق الممالك الإسلامية في منطقة وسط أفريقيا، والإسراع بتنصير أهالي الجنوب. ادخال المناطق الجنوبية لتشاد في حيازة الشركات الفرنسية التي لها الحق في الاعمال الزراعية والتجارية واستغلال الثروات الطبيعية مقابل أن تدفع 10% كم أرباحها السنوية للحكومة الفرنسية.⁽²²⁾

ثالثاً: الظروف التي مهدت للزحف الفرنسي نحو تشاد

وقد مهدت لها ظروف داخلية وخارجية في أن تحتل تشاد ويمكن تحديد هذه الظروف في النقاط التالية:

كانت في منطقة تشاد توجد ثلاث ممالك كما سبق ذكر ذلك وكان لكل مملكة سياستها الداخلية والخارجية الخاصة بها حيث يتمتع الملك بنفوذ مطلق في حدود مملكته، ويحاول دائماً بسط سيطرته على البلدان المجاورة ولذلك لم تكن هناك علاقات ودية بين هذه الممالك منذ نشوئها لم يكن في تشاد مجتمع متحضر راق في ذلك الوقت بسبب حياة التنقل والرعي وعدم الاستقرار وإن كان هناك جزء كبير من الشعب يعيش في عدد من مدن الممالك الثلاث ويعمل في الزراعة والتجارة.⁽²³⁾ كانت مأساة الرق ومطامع الملوك الشخصية قد أضعفت كثيراً من معنويات وتعاقت بعد ذلك العديد من الشركات في الأراضي التشادية لنفس الأغراض وتقوم بعض هذه الشركات منها ما هي تجارية ومنها ما هي صناعية تشتري المواد الخام لتصنعها محلياً وتنقل الجزء الأكبر من منتجاتها إلى فرنسا والدول الأخرى حيث أن توفر المواد الخام وقلة أجور اليد العاملة تجعلها تستقر في البلاد لتباشر أعمالها.

رابعاً: استنزاف موارد تشاد :

أن سيطرة علي تشاد الحقت اغلب مناطق تشاد في 1910م ، بمستعمرة (اوبانقي) فأصبحت (اوبانقي - شاري - تشاد)، وفي 12 من أبريل 1916م صدر مرسوم آخر ألغى روابط التبعية مع أوبانقي حيث جعل هذا المرسوم أراضي تشاد المحتلة تابعة مباشرة للحاكم العام لإفريقيا الاستوائية وفي 17 مارس 1920م صدر مرسوم آخر وعلي اثره اصبحت تشاد مستعمرة في حد ذاتها ، حتى عام 1946م، عندما عينت فرنسا حاكماً عاماً للمستعمرات، الذي اتخذ من (برازيل) مقراً لإدارة المستعمرات الاربعة .⁽²⁴⁾

سيطرة فرنسا في المجال الزراعي والتجاري دخلت أوروبا في مرحلة تاريخية جديدة خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي ، وهي الاهتمام بالصناعة والتنمية الاقتصادية ، ونتيجة لهذا التطور الصناعي أوجدت حوافز قوية للتسابق والتنافس نحو هذه القارة الأفريقية من أجل الحصول على المواد الخام⁽²⁵⁾ .

هذا ما فعلته فرنسا بالفعل في تشاد بعد احتلالها، حيث فرضت على الفلاحين أن يقللوا من زراعة المحاصيل التي كانوا يزرعونها وهي المحاصيل الغذائية ، وحولتهم إلى المحاصيل النقدية التي تستخدمها لمصلحتها، وفي المقابل شجعتهم من أن يوسعوا دائرة زراعة القطن على حساب المنتجات الأخرى التي كان السكان بأمس الحاجة إليها كالدخن ، والذرة ، وال فول ، وغيرها من المنتجات الاستهلاكية ، كما أن فرنسا تحتكر تصدير القطن إليها، ولا يحق للمزارعين التشاديين أن يصدروا هذا المحصول إلى أي بلد آخر، لأنها هي التي أمرت بزراعته في الأراضي التشادية وهي التي تتصرف عنه ، وفعلًا قد تمت زراعة القطن لأول مرة في عام

1928م بتوجيهات فرنسية بغية إمداد مصانع النسيج الفرنسي بالمواد الخام ، وفرضت الإدارة الاستعمارية على الفلاحين ذلك دون مراعاة لحاجة السكان من المؤن الغذائية ، مع أن الفلاح التقليدي لم يستفد ماديا من زراعة القطن نظرا لقلّة الأرباح التي يجدها من قبل المستعمر، وقد يكون مديونا في بعض الأحيان وأن غالبية أرباح المحصول تذهب إلى جيوب كبار الموظفين وبعض الشركات التي تحتكر زراعة القطن وتصديره، هذا الأمر مما أدى إلى انكماش مساحة باقي المحاصيل الزراعية ، مما ساهم في تردي دخل الفرد التشادي⁽²⁶⁾. نجد أن المستعمر الفرنسي وجد غايته في دولة تشاد الغنية بمواردها البشرية والطبيعية المتمثلة في خصوبة التربة ووفرة المياه ، فركزوا جل جهده على استنزاف تلك الموارد ليمد بها مصانعه ، وأن سياسة المستعمر الفرنسي الاقتصادية لم تكن بدعاً من المستعمرين ، بل كان المستعمر الفرنسي أحد أمتهم في وضع السياسة الاستنزافية لموارد البلاد المستعمرة ، فنجد أنه قد ركز في نشاطه الاقتصادي في البلاد على الزراعة ، بل اقتصر على زراعة القطن التي تحتاجه مصانعه فقط دون مراعاة لحاجة البلاد التي يستعمرها ، ولرفع هذا الإنتاج قام صندوق التنمية الفرنسية بتقديم يد العون في شكل معونات أو مساعدات لكل من يقوم بزراعة القطن دون سواها وهذه المعونات تتمثل في الأسمدة ومبيدات الحشرات، كما سعى المستعمر إلى ربط دولة تشاد اقتصادياً بفرنسا، وذلك عن طريق ربط عملة تشاد بالفرنك الفرنسي ، مما جعل الدولة دائرة في فلك الاقتصاد الفرنسي في تبعية ذليلة .⁽²⁷⁾

المحور الثاني : آثار السياسة الفرنسية في تشاد :

رسمت فرنسا سياستها الاستعمارية علي أسس وفلسفة معينة تحت نظام الحكم المباشر ، لذا قامت السياسة الفرنسية في أفريقيا السوداء علي قاعدة واحدة هي محاولة إدماج الشعوب الافريقية في جسد الإتحاد الفرنسي، وكان هذا الإدماج ادماجاً تدريجياً عن طريق تعليم هذه الشعوب ببطء شديد وامتصاص كل مجموعة مثقفة من أبنائها في كتلة المجتمع الفرنسي ، وحرص الفرنسيون علي الحد من الخطوات التي يسير عليها التعليم في هذه المناطق حتى لا تخلق فرنسا لنفسها مشكلة وجود عدد من المثقفين الذين يطالبون بمستوى المواطن الفرنسي ، إلا أن الذي يقع بالفعل في المجتمعات الافريقية التي يحكمها الفرنسيون هو أن إختلاف البيئة والتعالي علي الافريقي هي سمات الصلة بين الجانبين⁽²⁸⁾.

أولاً: أساليب الاستعمار الفرنسي في القضاء علي طمس الهوية التشادية:

قامت السياسة الفرنسية في تشاد علي فكرة الإدماج أي صهر التشاديين في المجتمع الفرنسي تدريجياً ، ويترب علي هذه الفكرة طمس الحضارة والهوية التشادية والتقاليد ، ومن أبرز تلك الاساليب تجاهل الحضارات ، وقد كانت سياسة الإمتصاص هذه تقوم علي اساس القضاء علي هذه الصلات التي تربط التشاديين بماضيهم العريق وبوطنهم ، ولم يهتم المستعمر الفرنسي بعادات وتقاليد ولغات المجتمع التشادي الا بعد أن وضع له بجلاء فشل سياسة الإمتصاص أو الاستيعاب هذه ، ثم لجأ الي انشاء بعد المراكز التعليمية لمواجهة هذا الفشل .⁽²⁹⁾

كامل سعى المستعمر الي انشاء بعض المدارس العلمانية وعمل علي الإستقطاب الجبري للتعليم في هذه المدارس غير أن هذه الاجراءات قوبلت بالرفض الشديد من قبل الاهالي سواء المسلمة منها وغير المسلمة فقد اظهروا رفضهم التام لهذه المدارس حيث إعتبروها حملة تستهدف ثقافتهم الأصلية ، وعاداتهم وتقاليدهم المقدسة ، وقد حدث صراع حقيقي بين الثقافات المحلية خاصة الإسلامية وبين ثقافة المستعمر

الدخيل ، واعتزل المسلمون المدارس الحكومية .

لما علم المستعمر بهذا الرفض تجاه المدارس فرض علي شيوخ القبائل التقليدية والسلطين بإرسال أولادهم الي المدارس الفرنسية عنوة ، فمنهم من رضي بالواقع وألحق بعض ابنائه بالمدارس ومنهم من أدخل خدمه بحجة أنهم أولاده ، وهذا الرفض الجماعي يرجع الي خشية الآباء علي أولادهم وبناتهم من الانحراف في حالة ادخالهم تلك المدارس الاستعمارية المشبعة بالأفكار الكنسية ، وضياهم في اكناف النصارى واستئصالهم من اهلهم وذويهم ، ولهذا ارسل هؤلاء ابنائهم لحفظ القرآن الكريم والعلوم الاسلامية .

غير أن عامل القوة الذي دعمت به الثقافة الفرنسية الغازية جعلها تترك أثرها في الأوساط المحتكين بها والذي ظهر علي كثير من المثقفين الذين تشربوا بهذه الثقافة حيث اصبحوا لا يؤلون بالا لثقافتهم وعاداتهم التقليدية بل واصبحوا يعتبرونها تخلفا رجعيًا ، فبهذا الانسلاخ الثقافي هم محتاجين الي ميلاد جديد وثقافة أصيلة.⁽³⁰⁾ وقد أنشأ المستعمر الفرنسي بعض المدارس غير أنه لم يكن يرمي وراء ذلك تعليم الناس بما ينفعهم في حياتهم الحالية والمستقبلية ، بل كان القصد وراء ذلك هو تأهيل أعداد من الموظفين يعرفون القراءة والكتابة لخدمة المستعمر أو تخريج عمال يؤدون ما يطلب اليهم في المزارع او المصانع ، والتعليم عموماً برغم ذلك كان بطيئاً في انتشاره ومن جانب آخر فقد كان تاريخ فرنسا الدولة الأم هو الذي يدرس بالتفصيل في المدارس التشادية وكل تركيزهم علي العادات والافكار والبطولات الفرنسية وتمجيدها واهمال كل مظاهر ثقافة الشعب المحلية والايحاء بأنها غير ذات ثقافة وحضارة وفن ، مع العلم أنه لا يخلو مجتمع بشري من حضارة وثقافة ، في صورة من الصور او بفن في درجة من درجاته المختلفة.⁽³¹⁾

هكذا سعت فرنسا الي اضعاف الشعور القومي والمعنوي لدى شعوب المستعمرات وادخلت في اذهان الطبقة المثقفة المقربة منها بأن فرنسا دولة عظمى تمتلك كل شيء وأنه من الصعوبة العيش بدونها ، في حين أن فرنسا هي الدولة المحتاجة غاية الاحتياج الي ثروات وخيرات البلاد .

ومن الأساليب ايضا احتكار المستعمر جميع الانشطة الادارية تحت فتم تقسيم تشاد الي تسعة مناطق إدارية ، وداخل كل منطقة عدد من المقاطعات وتلك المقاطعات هي (بركو - انيدي - تبستي ، ووداي ، والبطحا ، وكانم ، وشاري باقرمي ، وسلامات ، ومايو كيببي ، ولوغون الأسفل ، وشاري الأوسط) وعلي كل منطقة رئيس ، ويتولى ادارة كل تلك المناطق حاكم يقيم في (فورت لامي)⁽³²⁾ ، ويعاونه أمين عام ويعمل الجميع من أجل الهيمنة ونشر الثقافة الفرنسية اضافة الي جمع الضرائب والالتاوات من الماشية والأفراد ، وحتى سنة 1946م لم يكن في تشاد مجلس نواب يدافع عن حقوق مواطنيها ، بل كان هناك فقط مجلس خاص مكون من زعماء القبائل والمشايخ والعمد ، يعاونون الحاكم في جمع الضرائب وتوفير الايدي العاملة ، وليس لهم أي صلاحية سوى الإستشارة ، فقد كان الفرنسي هو صاحب السلطة التنفيذية .

ثانياً: دور الاستعمار الفرنسي في اضعاف الثقافة الاسلامية في تشاد:

ركز الفرنسيون علي سياسة تذويب كل المؤسسات الإسلامية في تشاد ، فعملوا علي إخماد جذور العلم والمعرفة تحت أنقاض المساجد والخلوي ولم يبق منها الا القليل وهنا شهد شاهد من اهلها الا وهو (ريبو Rebo) أحد أقطاب المستعمرين الفرنسيين يوضح مدى طموح الفرنسة بقوله (اذا تركنا أهل البلاد يستعملون العربية فانهم سيصيرون متمسكين بالإسلام ، وما معنى الاسلام ؟ معناه ايقاف تقدمنا والوقوف

في وجه مدنيتنا (33).

وعلي غرار كل ذلك نجد أن المستعمر بدأ يعمل ويخطط علي تنفيذ استراتيجيات معينة تتمثل في الآتي :

1. انشاء مدارس فرنسية ومدارس تنصيرية لغرس ثقافته ونشر الدين المسيحي ليحل محل الدين الاسلامي
2. محاربة العلماء المسلمين في تشاد وذلك بنفيهم خارج البلاد أو التخلص منهم ، وخير دليل علي ذلك مذبحة الككب عام 1917م
3. التقليل من شأن اللغة العربية وعدم الاعتراف بها .
4. تنشيط روح العداء بين ابناء الوطن التشادي . (34)

اتبعت فرنسا خلال تواجدها في تشاد سياسة (الفرنسية) أي فرنسة نخبة من التشاديين ، واتبعت في سبيل هذه السياسة سياسة أخرى وهي سياسة (الفرنسية الجماعية ، والفرنسة الفردية) ، كما لجأت الي المدارس والكنائس والمؤسسات العسكرية لتنفيذ هذا المخطط ، ولقد أتت هذه السياسة ثمارها في نجاح النخبة الفرنسية في الحفاظ علي مصالح الفرنسيين في تشاد ، وانعكس آثار هذه السياسة علي الاوضاع السياسية والإدارية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية والعسكرية ، وبهذا التخطيط الممنهج بدأ تدريجيا يختفي معالم الثقافة العربية بفعل الهجمة الاستعمارية الشرسة التي حاولت أن تقلع جذور هذه الثقافة القائمة منذ مئات السنين ، إلا أن الاستعمار حاول محاربتها والتشكيك فيها من خلال ما أحدثه من نظام تعليمي ومن فلسفة تعليمية إستعمارية تهدف الي تأهيل وتدريب البعض لمساعدته فقط . (35)

المحور الثالث : آثار الاستعمار الفرنسي علي مملكة كانم برنو:

تميزت السياسة الفرنسية الاستعمارية عن غيرها من السياسات الاستعمارية بأنها دائما ما تسعى لجعل شعوب المستعمرات جزءاً من الثقافة الفرنسية ظناً منها أن مهمتها في العالم هو نقل ثقافة جديدة كانت فرنسا هي دولة النشأ لها .

لذا دائماً ما تسعى لجعل الشعوب التي إستعمرتها أن تكون جزء منها وتدافع عن مصالح فرنسا الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ومن هنا تجد المناخ صالحاً لها لنهب خيرات تلك المستعمرات ونقلها الي فرنسا ، ومن الصعب أن يتم ذلك الا بعد ان تصنع عملاء حقيقيين يرضون بالذل والهوان ، وهي متيقنة تماماً لن يتم لها ذلك في ظل القيادات الاسلامية التي تدافع عن حق الدين والوطن . (36)

أولاً: نبذة تاريخية عن مملكة كانم برنو:

منطقة حوض بحيرة تشاد هي المنطقة الواسعة الواقعة فيما يعرف بالسودان الأوسط، وبلاد السودان هو مصطلح أطلقه الكتاب العرب في القرون الوسطى على المنطقة الواسعة التي تقع ما بين البحر الأحمر شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً، ومن حدود طرابلس وبرقة شمالاً إلي أعماق الغابات جنوباً، في حدود غير واضحة. وبعد ذلك قسمت بلاد السودان إلي ثلاثة أقسام : كما وصفها العالم الغربي نرنجهام (37)

القسم الأول : وهو السودان الشرقي وهي المنطقة الممتدة من البحر الأحمر إلي دار فور، وقامت فيه مجموعة من الممالك والسلطنات التي كونت السودان الحديث.

القسم الثاني : وهو السودان الغربي، وهي المنطقة الممتدة من غرب نهر النيجر إلي المحيط الأطلسي،

وقد شهد قيام أعظم ممالك غرب إفريقيا مثل : (مملكة غانا، ومالي، وسنغاي).

القسم الثالث : وهو السودان الأوسط، وهي المنطقة الواقعة شمال إفريقية، وتمثل الجزء الأكبر من إفريقية جنوب الصحراء وهي المنطقة التي تميزت بدور مهم من الناحيتين التاريخية والاثنوجرافية للأقاليم الواقعة وسط القارة الإفريقية وغربها⁽³⁸⁾.

وتشمل الأراضي الواقعة شرق بحيرة تشاد إلي حدود دنقلة، وتشمل أراضي واسعة تقع فيها جبال تبستي وإيندي، والبرقو، والجراب، والسورو، وبحر الغزال الذي يجري في تشاد، وبحيرة الفتري، وبقرمي، ووداي وحوض نهر شاري الأدنى⁽³⁹⁾.

قامت مملكة كانم على أطراف حوض بحيرة تشاد وهي أولى الممالك التشادية، وتعتبر المملكة الأم لكل الممالك الأخرى التي قامت على هذا الحوض، وأن قيامها على أطراف حوض بحيرة تشاد ليس بالقرب إذا نظرنا إلي الحضارات الأخرى في مسيرة التاريخ، مثل حضارة وادي النيل، وحضارة الرافدين جميعها نجدها قامت على شواطئ الأنهار، وما كانم إلا تطبيقاً لهذه القاعدة الطبيعية، وأن الدراسات الأثرية أثبتت أن هذا الحوض هو مهداً لكثير من الحضارات، أو على الأقل ممر لها.

تقع مملكة كانم حول ضفاف بحيرة تشاد الشمالية و الجنوبية فيما يعرف بإقليم كانم الحالي ، وقد توسعت حتى شملت منطقة وداي في شرق تشاد و المناطق الواقعة إلى الغرب من بحيرة تشاد و التي تعرف قديماً بإقليم «برنو» «BORNOU» بجمهورية نيجيريا حالياً ولذلك عرفت في التاريخ بمملكة كانم-برنو (KANEM-BORNOU) أو امبراطورية كانم برنو .⁽⁴⁰⁾ وقد قامت هذه المملكة في القرن التاسع الميلادي عقب زوال مملكة الزغاوة التي نشأت خلال القرنين السابع و الثامن الميلاديين و شملت المنطقة من النوبة شمالاً حتى بحيرة تشاد و كاوار جنوباً ، وقد ورد ذكر مملكة كانم في أغلب كتب الرحالة و المؤرخين العرب و المسلمين ، فيقول عنها ياقوت الحموي :

كانم بكسر النون : من بلاد البربر بأقصى المغرب في بلاد السودان⁽⁴¹⁾ وقيل صنف من السودان ، وقد عرفت مدينة جيمي (JIMI) إلى الشمال من البحيرة أنها عاصمة لتلك المملكة و لكن لا يعرف تاريخ محدد لإنشائها .

وتشير أغلب المصادر بأن الاسلام دخل إلى تلك المملكة خلال القرن التاسع الميلادي حيث يرى عبد الرحمن بن خلدون أن الاسلام غالب على أهل تلك المملكة.⁽⁴²⁾

أما القلقشندي فيقول : الكانم : بكاف بعدها ألف ثم نون مكسورة و ميم في الآخر هم مسلمون أيضاً و الغالب على ألوانهم السواد⁽⁴³⁾

ثانياً: مكانة الثقافة العربية في كانم – برنو:

وبعد أن توطدت دولة كانم – برنو الاسلامية واشتد عودها حول بحيرة شاد- وقطعت شوط مهما في نشر تعاليم القرآن الكريم في مختلف نواحي الحياة الإجتماعية (في الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق، وفي المعاملات مثل تنظيم التجارة، والزكاة) ونجحت في إقامة مؤسسات علمية وخاصة مدارس القرآن والفقه والحديث النبوي.⁽⁴⁴⁾

تكونت من ذلك جماعات من المثقفين داخل الدولة، وانتشرت هذه الجماعات في الأقاليم المجاورة،

وتم ارسال بعض هذه الجماعات من يريد التوسع في العلم إلى معاهد خارج الدولة، وكانوا يشكلون عدداً كبيراً إلى أن تطلب الأمر وقف أموال طائلة لمساندهم وإقامة "رواق" خاص بهم في الأزهر بالقاهرة. فكان ذلك يمثل الأرضية الإجتماعية التي يقتضيها الوضع لقيام ثقافة عربية متينة. فقد كان الاسلام واللغة العربية دوماً متصلين اتصالاً لا يمكن فصم عراهما، فقد أصبح لزاما على كل مسلم مؤمن أن يتعلم اللغة العربية إلى درجة تمكنه من فهم القرآن أو تلاوته على الأقل. ومن الملاحظ أن مملكة كانم -برنو منذ انشائها كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

ثالثاً: المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في مملكة كانم برنو:

إتجهت القوات الفرنسية إلى كانم في يوم 17 / 11 / 1899م بقيادة (جولاند) والملازم (مانير) قادمة من النيجر فاتجهوا نحو (تقوري) مرورا (بدقنا ومساكوري).⁽⁴⁵⁾ وقد وقع أول صدام بين أهالي كانم والقوات الفرنسية في منطقة (ريق ريق) التي لا تبعد كثيراً عن الموقع الذي تمركزت فيه القوات الفرنسيين في شواطئ البحيرة وعلي الرغم من أنهم لم يصمدوا طويلاً أمام آلة الحرب الفرنسيين، الا انهم برهنوا عدم قبولهم للخضوع الفرنسي.⁽⁴⁶⁾ وقد استطاع الفرنسيين أن يستولوا علي منطقة ريق ريق وواصلوا زحفهم حتى وصلوا علي مدين (تقوري) بعد معركة طاحنة تغلب فيها السلاح الناري علي السلاح التقليدي ، ووقعوا اتفاقية مع الخليفة (جواب) علي غط الاتفاقية التي وقعوها مع جورانج سلطان باقرمي⁽⁴⁷⁾ كما اصطدم أهالي منطقة (انقوري) والقوات الفرنسية الغازية وأبدى هؤلاء السكان صمتهم وصبرهم علي القوات الفرنسية ودارت بينهم معارك عنيفة حالت دون دخول الفرنسيين المدينة ، إضطرت القوات الفرنسية إلى طلب مزيد من الدعم فجاءت قوات أخرى لنجدهتهم ، وفي 4 ديسمبر 1902م قام القائد (محمد أبو عقيلة) الذي كان ذكياً بارعاً في فنون الحرب والقيادة ، فشهد له اعداؤه بذلك عندما قال : (فرندي) القائد الفرنسي (كان أبو عقيلة جندياً عظيماً قادراً علي تدارك الموقف في الوقت المناسب) وجمع القبائل وشن هجوم مكثف علي القوات الفرنسية استمرت حوالي ثلاثة أيام ولكنه لم يستطع أن يحقق النصر عليهم ، فاستشهد ابو عقيلة في المعركة مع عدد كبير من جنوده وذلك عام 1902م كما تكبدت القوات الفرنسية أيضاً بخسائر طاحنة مما أدى إلى رجوعهم إلى منطقة (ماو) جنوباً ، وإستقروا فيها لعدة أيام ، وبعدها إتجه الفرنسيين صوب بحر الغزال وإستكملوا إحتلال جل منطقة كانم ، التي لم تستطع الصمود أمام الغزاة الفرنسيين بسبب عدم التكافؤ في الأسلحة كما أن منطقة كانم لم تكن موحدة في تلك الفترة بل كانت المقاومة عبارة عن كل منطقة او قرية تقاوم بوحدها مما جعل أمر الإستيلاء امام القوات الفرنسية سهلاً.

مقاومة السنوسيين للغزو الفرنسي:

شرع الفرنسيون في الزحف للإستيلاء علي إقليم بركوا واندي وتبستي التي كانت تحت السيطرة السنوسية ، فدخلوا في صراع معهم⁽⁴⁸⁾ . وصل السنوسيون إلى تشاد عام 1899م فتمركزوا في المناطق الشمالية ، وبدأوا يمارسون العمل السياسي بالإضافة إلى الدعوة والنشاط التجاري وبدأوا يستوردون ويصدرون يجلبون إلى تلك المناطق الذخيرة والسكر والشاي والملح ، ويأخذوا منها العاج وريش النعام والرقيق والعمل ، كما انضم إليهم بعض القبائل العربية مثل أولاد سليمان* الذين انضموا إليهم من فزان ، كما انضم إليهم قبائل التبو والقرعان ، وإستطاع السيد (محمد البراني) من انشاء زاوية في بئر علالي في منطقة كانم ، وذلك في عام

— أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد(1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً) —

1900م ، وبمعاملتهم التجارية والدعوية استطاعوا أن يجندوا عدد كبير من المواطنين للاشتراك في جيش المقاومة السنوسية ضد الاحتلال الفرنسي ، ففي بادئ دخولها الحركة السنوسية استطاعت أن تقيم علاقات ودية مع القبائل والمشايع التشادية ، بقيادة (محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي) ، فقد بعث رسالة إلى يوسف سلطان وداي ورسالة أخرى إلى (عبدالرحمن جورانج الثاني) سلطان باقري لتحسين العلاقات التجارية والتحالف بينهما ، لمواجهة الغزو الفرنسي ، فقبل سلطان وداي بالعلاقات التجارية والتحالف ضد الفرنسيين ، أما سلطان باقري قبل العلاقات التجارية ولكنه رفض التحالف مع السنوسيين ، ⁽⁴⁹⁾.

ففي بداية 9 / نوفمبر 1901م اصطدم النقيب (مبللو) بقوات المقاومة في منطقة بئر علالي ، والقوات السنوسية يقودها (غيث بن عبد الجليل) ودخلوا في معارك عنيفة مما جعل الفرنسيون يضطرون إلى التراجع بعد مقتل قائدها النقيب (مبللو) وعدد كبير من جنوده ، ومن أسباب هزيمته عدم حصوله علي المعلومات الكافية عن قوات المقاومة في منطقة بئر علالي ، وقرر الفرنسيون العودة مرة أخرى ولهذا نجد عام 1902م قاد النقيب (تيتار) هجوما آخر تمكن فيه من الاستيلاء عليها بعد معركة عنيفة فقد فيها الجانبان عددا كبيرا من قواتهما حيث تعتبر هذه المعركة من أعنف المعارك التي قادتها القوات الفرنسية في كانم ، حيث أبدى فيها المقاومون بقيادة البراني شجاعة نادرة ، ولكن في النهاية استطاعت القوات المحتلة من دخول الزاوية في منطقة بئر علالي ورفعت العلم الفرنسي فيها ، فاضطر السنوسيون إلى الانسحاب بقياد البراني إلى بركو ⁽⁵⁰⁾ وبعد هذه الهزيمة إتهم (محمد البراني) بالتهاون في هذه المعركة ولذا استبدل بالمقدم (ابو عقيلة) ، الذي قام يوم 4 ديسمبر 1902م بهجوم كاسح علي القوات الفرنسية ، وإستمر هذا الهجوم قرابة ثلاثة أيام ، ونظراً لأن الفرنسيين توقعوا هذا الهجوم فاستعدوا له غاية الإستعداد ، فلم يستطع (أبو عقيلة) السيطرة علي الفرنسيين وأستشهد أبو عقيلة وعدد من قواته وفي هذه المعركة إستطاع الفرنسيون أن يسيطروا علي منطقة كانم ، وبدأوا يتوجهون صوب بركو التي يقيم فيها السيد البراني ففي عام 1906م توجهت القوات الفرنسية نحو (عين جلركة) بقيادة النقيب (بور دو) والنقيب (كورني) وهجمت القوات الفرنسية علي عين جلركة ، ودارت فيها قتال شديد وفقد الجانبان خسائر كبيرة وأستشهد فيها البراني ، كما إضطر الفرنسيون إلى الإنسحاب بسبب فقدانهم لجل قواتهم ، واستعد الفرنسيون مرة أخرى في عام 1907م وشنوا حملة أخرى إلى عين جلركة بقيادة النقيب (سليلي) والملازم (لائلوار) وعلى الرغم من إستعدادهم الكبير ألا أنهم فشلوا بسبب أن أحد المواطنين تسلس سرا إلى السنوسيين وأخبرهم بالهجوم الفرنسي لهم واستعدت القوات السنوسية للحملة الفرنسية وإستطاعوا ان يصدوا لها ، وهذا ما جعل القوات الفرنسية تتكبد خسائر فادحة ، وتتابع النكسات الفرنسية بعد ذلك في كل الجبهات ، فمثلاً في إندى إستطاع المقدم صالح أن يهزم القوات الفرنسية ، ويمنع تقدمها وفي (وشانكلي) إباد عبدالله التوير كتيبة فرنسية بكاملها ، وذلك في عام 1909م . وهنا استطاع السنوسيون أن يقنعوا الاتراك العثمانيين بضرورة التدخل إلى جانبهم ، في معاركهم ضد القوات الفرنسية في منطقة تشاد ، ولكن القوات التركية تحاشت الاصطدام مع القوات الفرنسية ، وجرى تبادل تجاري بين الجانبين الفرنسي والتركي ، بقصد حماية القوافل التجارية والإبقاء علي التفاهم بينهما لحين الاتفاق علي الحدود. ⁽⁵¹⁾ وبعد النكسة المتتالية للقوات الفرنسية ، قررت الحكومة

الفرنسية ارسال العقيد (لارجو) في عام 1910م كقائد عام للقوات الفرنسية في منطقة تشاد ، واسند له قرار احتلال بركو ، ومنذ وصوله بدأ في تجميع القوات الفرنسية ، وارسل تقريراً للقيادة العامة في برازايل يشرح لهم فيها قوة السنوسيين وفي الوقت نفسه يطلب مزيداً من الدعم في القوة والعتاد ، وهنا تنبأ السنوسيين بالعمل التي تدبره فرنسا ضد مقاومتهم ، فسحب مركز قيادته من (غورو) إلى كفرة ، وواصل السنوسيين نضالهم ضد الفرنسيين التي اشتد بعد تعيين (لارجو) ، كما قامت فصيلة فرنسية من الهجانة التابعة لمنطقة كانم بهجوم مباغت علي بلدة (فوكو) وفي 15 / مايو 1913م أسر المقدم صالح كريمي ، وعدد من جنوده في بلدة (ووي) باندي وبعدها بثمانية ايام حاول عبدالله التوير مسؤول منطقة عين جلركة القيام بهجوم مباغت علي فرقة الملازم (ديفور) ولكنه لم ينجح في تنفيذ خطته فقتل في هذه المعركة . وهنا توجه العقيد لارجو من مدينة (ماو) إلى عين جلركة المنطقة التي صمدت لفترة طويلة أمام الفرنسيين ، وفي نفس الوقت طلب من الملازم (ديفور) الذي كان يربط في منطقة (بلتين) أن يلحق به فتوجه الجيشان نحو المنطقة (عين جلركة) فالتقوا فيها في 24 نوفمبر 1913م ، ودارت معارك عنيفة استمرت حوالي خمسة أيام فقد فيها الفرنسيون عدداً كبيراً من قواتهم وعلي رأسهم الملازم (ييري) والنجيب (ماجون) ، كما فقد السنوسيين أيضاً عدداً كبيراً من قواتهم على رأسهم المقدم (محمد اريدة) ، وبهذا استسلمت منطقة عين جلركة ، وبعد هذه المعركة فقد السنوسيون مناطق عديدة في منطقة أهمها مدينة فيا ووينقا وغور ، ففي غورو هدمت القوات الفرنسية قبة الامام محمد المهدي ، وبهذا فقد السنوسيون المنطقة الشمالية لتشاد .⁽⁵²⁾ ومن أهم الاسباب التي جعلت السنوسيون يهزمون امام القوات الفرنسية وكانت مقاومتهم للاحتلال الفرنسي تقوم علي مبدأ محاربة الإستعمار في ديار الإسلام إضافة إلى ذلك هناك كثير من التشاديين دخلوا في حركتهم وحاربوا المستعمر الذي أحتل أراضيهم ، وبهذا وجد الفرنسيين مقاومة شرسة من قبل الأهالي في منطقة شمال تشاد .

النتائج :

من أهم النتائج هه الدراسة :

إتسمت سياسة فرنسا منذ اللحظة الأولى بالعنف وتنطوي في بعض الاحيان علي الجمود واللامبالاة بمصير المجامع التشادي وتطوره الثقافي والاجتماعي والسياسي.
ومع مجيئ المستعمر أرض تشاد سخر الدين المسيحي لخدمة اهدافه ، وتستخدم المدارس لنشر اللغة الفرنسية والثقافة الاوربية ، وسعى بكل ما يملك للقضاء علي اللغة العربية والثقافة الاسلامية والتراث القومي التشادي.

الممالك التشادية الثلاثة وخاصة مملكة كانم برنو كانت تولي اهتماماً بالغاً منذ زمن بعيد بحفظ القرآن الكريم وعلومه ، ولديهم صلات بشمال افريقيا وشرقه، ولكن بعد سيطرة الفرنسيين قطعوا كل تلك الصلات واخذوا ينكرون بالعلماء والمثقفين .

هذا لم يكتفي المستعمر الفرنسي بفرض لغته وثقافته بل قام برسم المناهج التعليمية بهدف مسخ الثقافة التشادية في اطار سياسة فرنسة النخبة . ولكن علي الرغم من كل ذلك الا أن المستعمر لم يستطيع فعل كل ما يريد بسبب تمسك الشعب التشادي بمعتقداته السامية ، حيث حاول المستعمر فصل المسلمين التشاديين عن تاريخهم باهمال تعليمهم وعاداتهم وتقاليدهم وحصره في نطاق ضيق لا يتعدى الإشارة .

توصيات: ومن أهم توصيات الدراسة

- ضرورة ايجاد متحف يتم فيه جمع المخلفات الأثرية خاصة للممالك الاسلامية الثلاثة حتى يسهل للباحثين دراسة تاريخ هذه الممالك .
- لابد من رسم استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات التي تواجه الثقافة الاسلامية .
- المطالبة باسترجاع الوثائق التي اخذتها فرنسا من تشاد فترة الاستعمار وبعده
- الاهتمام بمزيد من الابحاث ذات الصلة بالمقاومات الوطنية وبجميع الوثائق التاريخية المتعلقة بهذا المجال.
- اجراء المقابلة الشخصية مع الاشخاص المرجعيين والمحاربين القدماء او الذين عاصروا الاحداث لكشف بعض الحقائق التاريخية للمقاومة الوطنية
- الاهتمام بطباعة ونشر المخطوطات التي تناولت قضايا مقاومة الممالك الاسلامية للاستعمار في الدول الافريقية.

الهوامش:

- (١) محمد صالح أيوب ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي الترجمي في دار ودائي - تشاد (1853 - 1917 م)، ط1 ، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2001م ، ص : 34 .
- (2) جيرار، لكلارك: الانتروبولوجيا والاستعمار، الترجمة للعربية، ط2/ 1411هـ- 1990م، بيروت - لبنان، ص: 117
- (3) ظاهر جاسم محمد: التاريخ الأفريقي المعاصر، ط1، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، 2007م، ص: 18
- (4) (*) أفريقية الاستوائية الفرنسية: بلاد شاسعة تمتد من مصب نهر الكنگو إلي ليبيا ... وتبلغ مساحتها حوالي 2.520.000 كلم2 أي نحو أربع مرات مساحة فرنسا تقريبا، في كتلة من الأرض تتباين من جميع الوجوه، من حيث الارتفاع والمناخ والتركيب الجيولوجي، وتعداد السكان ونوعهم، والنبات والحيوان، وحالة الاستعمار.(من كتاب بيبير جاموش: جغرافية افريقية الاستوائية الفرنسية، ص: 15)
- (5) ياغي، د. إسماعيل احمد وآخر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية - الرياض، ص: 199
- (6) السنوسي، سنوسي هجرو ادم: السلطة والسياسة في تشاد، ط1/ 2014م، مطبعة جامعة الملك فيصل بتشاد، ص: 7
- (7) جمعه، حسن بوبا: الاتفاقات الفرنسية التشادية، رسالة دكتوراه في جامعة الملك فيصل بأنجمينا، العام الجامعي 2011/ 2012م، غير منشورة، ص: 02
- (8) شمس، كردي آدم: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، (م. ب)، ط1/ 1992م، ص: 19
- (9) الجزائر، بحر دناع دواس: مذكرات مع الثورة التشادية، ط1/ 2014م، الخرطوم- السودان، ص: 75
- (10) جمعه، حسن بوبا: الاتفاقات الفرنسية التشادية، مرجع سابق، ص: 250
- (11) أ.د. عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاحتلال حتى الاستقلال، مرجع سابق ، ص: 210
- (12) حلولو، الطيب إدريس: التكوين الثقافي وأثره على الاتجاه السياسي في تشاد بعد الاستقلال (-1960م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الملك فيصل بأنجمينا - تشاد، العام الجامعي 2009- 2010م، ص: 4
- (13) سليمان، دزغصام: الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، ط1/ 2010م، بيروت - لبنان، ص: 15
- (14) الدومة، أ.د. صلاح الدين عبد الرحمن: المدخل إلي العلوم السياسية، ط2/ 2006م، الدار السودانية للكتب - الخرطوم، ص: 141
- (15) عماد الدين غانم: الرحالون الأوروبيون إلى إفريقيا ومرشدوهم الليبيون.. محمد القطروني نموذجاً،

— أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد(1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً) —

- المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2010، ص 4.
- (16) أحمد عبد الدايم محمد حسين: الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن 19، مجلة قراءات إفريقية، العدد 21، يوليو - سبتمبر 2014م، ص 10 .
- (17) محمد صالح أيوب - مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية- مركز البحوث الإفريقية سبها ، ليبيا، -1992 ص 127.
- (18) الطيب ادريس حلولو، المدخل في دراسة تاريخ تشاد ، مطبعة جامعة الملك فيصل ، أنجمينا - تشاد 2003م ص18
- (19) الطيب ادريس حلولو ، مرجع سابق ، ص33
- (20) عبد الرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار الي الاستقلال، مرجع سابق ، ص67
- (21) الطيب ادريس حلولو، مرجع سابق، ص18
- (22) الطيب ادريس حلولو ، مرجع سابق، ص20
- (23) الطيب ادريس حلولو ، مرجع سابق ، ص 133
- (24) — موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org> الساعة : 2017/6/3 / 10:30am
- (25) — شوكت محمد عليان ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، دار الرشيد للنشر والتوزيع، ط1 ، الرياض 1410 هـ 1981م . ص 500
- (26) — ابراهيم محمد اسحاق ، أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد (دراسة في الجغرافية الساسية) ، بحث لنيل درجة الماجستير غير منشور، جامعة الملك سعود، 1988م، ص : 85
- (27) — ابراهيم محمد اسحق ، مرجع سابق ، ص: 93
- (28) — عبد الغني عبدالله خلف الله، مستقبل افريقيا السياسي، تاريخ شعوب القارة الحديث وأوجه التطور المحتملة فيه ، ط1 القاهرة ، 1957 م ، ص: 302
- (29) — شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، ط2 ، القاهرة 1980م ، ص: 550 .
- (30) — توري يوسف ، الاستعمار الفرنسي واصره الاجتماعي والثقافي علي ساحل العاج في الفترة من 1918— 1938م ، دبلوم عالي غير منشور ، جامعة افريقيا العالمية (السودان) ، 1995م ص : 46 .
- (31) — نوال عبدالعزيز مهدي راضي ، موضوعات في تاريخ افريقيا الحديث ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1986 ، ص : 43 .
- (32) * — اسم عاصمة تشاد سابقا (انجمينا حاليا)
- (33) — د. عمر عبدالفتاح و د. صبري سلامة ، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للغة والثقافة في افريقيا ، جامعة القاهرة،

- معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم اللغات ، القاهرة 13 - 14 فبراير 2008م ، ص : 308 .
- (34) - نفس المرجع ، ص : 309 .
- (35) - محمد مقدم علم الدين الحياة السياسية في إفريقيا الاستوائية الفرنسية (1873 - 1960) رسالة دكتوراه غير منشور ، جامعة الملك فيصل بتشاد ، 2007م ، ص : 123 .
- (36) - محمد شرومة انقاري ، المظاهر الحضارية لمملكة وداي الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشور ، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ، ص : 229
- (37) - هو سبنسر نرنجهام مستشرق بريطاني عاش في الفترة من 1904 - 1987م طاف في كثير من الدول الإسلامية وكتب عدداً من الكتب منها : الإسلام في شرق القارة الإفريقية ، والفرق الصوفية في الإسلام وكلاهما مطبوعان ، يُنظر لهجة البطحاء وعلاقتها باللهاجات العربية القديمة ، أحمد عبدالرحمن سماعين ، رسالة الدكتوراة ، جامعة الملك فيصل 2016م ، غير منشور ، ص 2
- (38) - إمبراطورية غانا الإسلامية ، إبراهيم علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط الأولى ، القاهرة 1975م ، ص 17
- (39) - تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، الشاطر بصيلي عبدالجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ، ط 1972م ، ص 407
- (40) إبراهيم علي طرخان : إمبراطورية البرنو الإسلامية ، دار النشر للملايين - بيروت ط 1 ، م 1961 . ص : 43
- (41) ياقوت الحموي ، اقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان (ط . سنة النشر : عدد المجلدات : 5 ر 1397 - 1993) ، ص : 142
- (42) (42) عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج 6 ، بيروت مكتبة المدرسة دار الكتب اللبناني ، ، 1967م ، ص 412
- (43) القلقشندي أحمد ابن علي ، صبح الاعشي في صناعة الانشاء دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1987م ، ص 105 .
- (44) (44) فضل كلود الدكو ، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم ، من - 600 1000هـ ، ط 1 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ص 241
- (45) - سليمان عبدالعزيز عالم ، الفرنكوفونية وابعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تاريخ تشاد المعاصر ، رسالة دكتوراه غير منشور ، جامعة إفريقيا العالمية ، 2006 ، ص : 145
- (46) - أحمد قاسم أحمد ، الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (1950 - 1980م) ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2015م ، ص : 107

— أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد(1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً) -

- (47) - سليمان عبدالعزيز عالم ، مرجع سابق ، ص : 145
- (48) - احمد قاسم ، مرجع سابق ، ص 108
- (49) - الملاحى ، مرجع سابق ، ص : 146
- (50) - احمد قاسم ، مرجع سابق ، ص: 110
- (51) - اسماعيل حلمي محروس ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر من الكشف الجغرافية الي قيام منظمة الوحدة الافريقية ، ج 1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر 2004م ، ص: 292
- (52) - الملاحى ، مرجع سابق ، ص : 149

المصادر والمراجع:

أولاً:

القران الكريم والسنة المطهرة

ثانياً: الكتب :

- (1) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية ، دار النشر للملايين - بيروت ط1، م1961
- (2) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الأولى، القاهرة1975م
- (3) أحمد قاسم أحمد ، الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (1950 – 1980م) ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم، 2015م .
- (4) إسماعيل احمد ياغي، وآخر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية - الرياض
- (5) اسماعيل حلمي محروس، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر من الكشف الجغرافية الي قيام منظمة الوحدة الافريقية، ج1 ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، مصر 2004م
- (6) الجزائر، بحر دناع دواس: مذكرات مع الثورة التشادية، ط1/ الخرطوم- السودان2014م،
- (7) جيرار، لكرك: الانتربولوجيا والاستعمار، الترجمة للعربية، ط2/ بيروت - لبنان، 1411هـ- 1990م،
- (8) دز عصام سليمان: الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، ط1/ بيروت - لبنان، 2010م.
- (9) سنوسي هجرو ادم: السلطة والسياسة في تشاد، ط1/ مطبعة جامعة الملك فيصل بتشاد، 2014م.
- (10) الشاطر بصيلي عبدالجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من السابع إلي القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط1972م
- (11) شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، ط2 ، القاهرة 1980م
- (12) شوكت محمد عليان ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، دار الرشيد للنشر والتوزيع، ط1 ، الرياض 1410 هـ 1981م
- (13) صلاح الدين عبد الرحمن الدومة: المدخل إلي العلوم السياسية، ط2/ ، الدار السودانية للكتب- الخرطوم، 2006م
- (14) الطيب ادريس حلولو، المدخل في دراسة تاريخ تشاد ، مطبعة جامعة الملك فيصل ، أنجمينا - تشاد 2003م
- (15) ظاهر جاسم محمد: التاريخ الأفريقي المعاصر، ط1، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، 2007م.
- (16) عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6 ، بيروت مكتبة المدرسة دار الكتب اللبناني، 1967م،
- (17) عبدالرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894 – 1960) الهيئة المصرية العامة للكتابة ، القاهرة 1982م .

— أثر الإستعمار الفرنسي علي ثقافة دولة تشاد(1920-1960م) (ممكلة كانم نموذجاً) -

- (18) عبدالغني عبدالله خلف الله، مستقبل افريقيا السياسي، تاريخ شعوب القارة الحديث وأوجه التطور المحتملة فيه ، ط1 القاهرة ، 1957 م
- (19) عماد الدين غانم: الرحالون الأوروبيون إلى إفريقيا ومرشدهم الليبيون، محمد القطروني نموذجاً، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2010،
- (20) فضل كلود الدكو ، الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبرطورية كانم ،من -600 1000هـ ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس 1998م.
- (21) القلقشندي أحمد ابن علي ، صبح الاعشي في صناعة الانشاء دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 1987م
- (22) كردي آدم شمس، التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، (م. ب)، ط1/ 1992م
- (23) محمد صالح أيوب - مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية- مركز البحوث الإفريقية سبها ، ليبيا، 1992
- (24) محمد صالح أيوب ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي الترجمي في دار وداي - تشاد (1853 - 1917م) ، ط1 ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، 2001م
- (25) نوال عبدالعزيز مهدي راضي، موضوعات في تاريخ إفريقيا الحديث ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، 1986
- (26) ياقوت الحموي، اقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان: عدد المجلدات: 5 - 1993

ثالثاً: الرسائل الجامعية :

- (1) ابراهيم محمد اسحاق ، أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد (دراسة في الجغرافية الساسية) ، بحث لنيل درجة الماجستير غير منشور، جامعة الملك سعود، 1988م
- (2) أحمد عبدالرحمن سماعين، لهجة البطحاء وعلاقتها باللهجات العربية القديمة، رسالة الدكتوراة، جامعة الملك فيصل غير منشور، 2016م
- (3) توري يوسف ، الاستعمار الفرنسي واصره الاجتماعي والثقافي علي ساحل العاج في الفترة من 1918-1938م ، دبلوم عالي غير منشور ، جامعة إفريقيا العالمية (السودان) ، 1995م
- (4) حسن بوبا جمعه، الاتفاقات الفرنسية التشادية، رسالة دكتوراه في جامعة الملك فيصل بأنجمينا، العام الجامعي غير منشورة 2011/ 2012م
- (5) سليمان عبدالعزيز عالم ، الفرنكوفونية وابعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تاريخ تشاد المعاصر ، رسالة دكتوراه غير منشور ، جامعة إفريقيا العالمية ، 2006
- (6) الطيب إدريس حلولو، التكوين الثقافي وأثره على الاتجاه السياسي في تشاد بعد الاستقلال (-1960 2000م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الملك فيصل بأنجمينا- تشاد، العام الجامعي 2009- 2010م
- (7) محمد شرومة انقاري، المظاهر الحضارية لمملكة وداي الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الدعوة الاسلامية طرابلس

(8) مقدم علم الدين الحياة السياسية في افريقيا الاستوائية الفرنسية (1873 – 1960) رسالة

دكتوراه غير منشور ، جامعة الملك فيصل بتشاد ، 2007م

رابعاً: مجلات ومؤتمرات :

(1) عمر عبدالفتاح وصبري سلامة ، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للغة والثقافة في افريقيا ، جامعة

القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، قسم اللغات ، القاهرة 13 - 14 فبراير 2008م

(2) أحمد عبد الدايم محمد حسين: الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن 19،

مجلة قراءات إفريقية، العدد 21، يوليو - سبتمبر 2014م

خامساً: الشبكة العنكبوتية

(1) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org> الساعة : / 10:30am

2017/6/3 مساء

أصحمة بن أبجر (النجاشي) ودوره في الإسلام (دراسة تحليلية)

أستاذ مساعد- جامعة الشرق للعلوم والتكنولوجيا

د. عبد اللطيف أحمد يعقوب محمد

مستخلص:

هذه الورقة البحثية تتناول جهد التابعي أصحمة بن أبجر، في نصرته للمهاجرين الأوائل، وحفظ حقوقهم، فاعتنى في ذلك بحقوق الأقليات التي يجب ألا تغمط، وثباته على الحق بعد ما استبان له، وإعماله لمبدأ الموازنة الشرعية بكتمان إسلامه، وأنه كان حكماً عادلاً، ما مكن له في بلاده. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لجمع وتحليل البيانات. وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أهمية الهجرة في سبيل الله تعالى، وأنها وسيلة من وسائل استمرار الدعوة إلى الله تعالى، وأن السياسة لا تعني النفاق ولا المراوغة، وإنما هي وضع الأمر في موضعه الصحيح، وكفالة الحقوق والحريات للمواطنين ولمن هاجروا إليهم، أمر أقرته الشرائع السماوية، فأعطت الأقليات حقوقها.

جواز صلاة الغائب على المتوفى الذي لم يصلى عليه، وأن الحاكم إذا عجز عن إقامة أحكام الدين لأسباب قاهرة، فإنه يتقي الله ما استطاع، ويؤجر على ذلك، التضحية بكل ما يملك الإنسان من أجل أن يسلم له الدين، وأن المؤمن صادق في كل الأحوال لا تتغير مبادئه بتغير الزمان والمكان. وبناء على النتائج تقدم الدراسة التوصيات التالية: على الدبلوماسية المسلمة العمل على إقناع مراكز التأثير والقرار في العالم بأن الإسلام دين السّماحة، وأنه بريء من الإرهاب وما يلحق به من تهم. على القادة والمسؤولين الاهتمام بالتخطيط، مع مراعاة أن يكون وفق معطيات صحيحة، مع متابعة تنفيذه على أرض الواقع. على الأمة أن تحسن التّحاور مع الأعداء الذين يضطهدون المسلمين ويقهروهم، ويسومونهم ألواناً من العذاب، وذلك يقود أقل ما يمكن أن يقال: إلى كف الأذى عنهم.

كلمات مفتاحية: الهجرة، الحبشة، لا يظلم عنده، النصارى، عيسى عبد الله ورسوله، الرشوة.

The role of Asshamah Bin Abger (Alnajashi) and his role in Islam (Analytical study)

Dr. Abdellateef Ahmed Yagoub Mohamed

Abstract

This research paper discusses the effort of Prophet Mohammed's friend Asshamah Bin Abger in supporting the first immigrants to the Epithenia. He maintains their rights as minority and he sticks to the truth of Islam although he doesn't reveal this to his people for fear that he might be killed. He has been a fair and just king.

The researcher used the descriptive analytical methodology to collect and analyze data. The most important findings of the study are:

It is important to migrate for the sake of Allah as it is a means to call others to Islam. Politics does not mean hypocrisy but doing the right thing at the right time. All people whether minority or majority have the same rights It is permissible to pray for those who died away if they were not prayed for. In challenging situations, governors may not be able to implement sharia laws. However, they can save what can be saved and get rewarded. Based on the findings above, the following recommendations are presented: Islamic diplomacy should reveal that Islam is a religion of tolerance but not terrorism . leaders and officials should put sound and applicable plans.

Key words: Migration - Ethiopia – Christians - justice - Jesus - bribe

مقدمة:

إنَّ الصَّراعَ بين الحقِّ والباطل ماضٍ إلى قيام الساعة، وإنَّ أعوان الباطل يبذلون جهدهم للوقوف في وجه الحق بكل ما أوتوا من قوَّة، بل وينفقون أموالهم صدًّا عن سبيل الله، لكنَّها تكون عليهم حسرة ثمَّ يغلبون. والله تعالى يقوي أوليائه المؤمنين، ويهيئ لهم من الأسباب ما يعينهم للانتصار على الباطل، وتلك سنَّة ماضية إن هم أحسنوا الاتباع وتطبيق الشرع. ولقد صبَّ المشركون جام غضبهم على الثلثة الأولى من المؤمنين، لما رأوا تزايد أعدادهم، فأذاقوهم الويلات، وعرضوهم لأسوء البلاء، ونكّلوا بهم. ولذلك ما كان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا وأن أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ففيها ملك لا يظلم عنده أحد، وذلك تضحية بالوطن ليسلم لهم الدين، فكانت هجرتنا الحبشة الأولى والثانية، وبالفعل وجدوا العدل ووجدوا الملاذ الآمن، كما حدثت بذلك أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤَدِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ، يَمَكِّنُهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ. فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفَرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ⁽²⁾. ولقد كان حكما عدلا، أحسن إلى المسلمين، وأسلم وكنم إيمانه، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم صلاة الغائب لما مات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا»⁽³⁾. والنجاشي من أهل الكتاب، من طائفة النصارى، وهي طائفة تدافع عن الحق من بين طوائفهم الكثيرة، فهم ليسوا على فهم واحد، {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران : 113]، وأمثال هؤلاء الحوار معهم يعود على الأمة بالخير. أهمية الأخذ بالأسباب، والتخطيط، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فلما اشتدَّ الأذى على أصحابه، لأمرهم بالهجرة، وهاجر هو كذلك بنفسه إلى الطائف، وإلى المدينة، وهذا يعرف في عصرنا هذا

باللجوء السياسي. ولقد كانت الهجرة إلى الحبشة منطلقاً لترسيخ مفاهيم الحق، فتحت أفقاً كبيراً للدعوة إلى الله في أنحاء متفرقة من أفريقيا، فكانت فتحاً إعلامياً، تناقله الناس، وبلغ الآفاق، فكان له ما بعده في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان:

1. الدور العظيم الذي قام به النجاشي خدمة للإسلام، وكيف كافأه النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه لما مات.
2. أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من التعامل مع غير المسلم ما دام مأمون الجانب، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإرسال أصحابه إلى الحبشة، وعلل ذلك بأن فيها ملك لا يظلم عنده أحد.
3. أن النصارى أقرب إلينا من غيرهم، {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة : 82].
4. أن الحاكم إذا عجز عن إقامة أحكام الدين لأسباب قاهرة، فإنه يتقي الله ما استطاع، ويؤجر على ذلك.

المنهج المتبع في الدراسة: أتبع المنهج الوصفي التحليلي لجمع وتحليل البيانات.

أسباب اختيار الموضوع:

تضافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع منها:

1. حاجة القيادات لوضع تخطيط محكم لإدارة مجتمعاتهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع الخطط التي أفضت إلى إقامة دولة الإسلام في المدينة المنورة.
2. حاجة المجتمعات إلى رعاية حقوق الأقليات وصيانتها وعدم انتهاكها، كما فعل النجاشي مع المسلمين على قتلهم، برفضه تسليمهم لكفار قريش.
3. عدم معرفة منهجية التعامل مع غير المسلمين، وموالاتهم واعتبارهم أحياناً أفضل من المسلمين.

التعريف بالنجاشي:

أصحمة بن أبجر النجاشي، ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له وملوك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقيصر للروم، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذي طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكبر عليه أربعاً، وكان رداءً للمسلمين نافعاً، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين

الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام⁽⁴⁾ :

وهو الذي دفع الصداق لأم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾، وقيل فيه نزل قول الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ

اللَّهُ هَمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ { [آل عمران: 199] عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} [آل عمران: 199] ذَكَرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ وَفِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ آمَنُوا بِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَدَّقُوا بِهِ. قَالَ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْفَرَ لِلنَّجَاشِيِّ، وَصَلَّى عَلَيْهِ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «صَلُّوا عَلَى أَخٍ لَكُمْ قَدْ مَاتَ بِغَيْرِ بِلَادِكُمْ» فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ: يُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ مَاتَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ هَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: 199] ⁽⁶⁾.

ويعد في التابعين، لأنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم.

قال عروة: فإن عائشة حدثني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لأب النجاشي ولد غير النجاشي فأدارت الحبشة رأبها بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكتنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك، لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلا لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه.

فدخل النجاشي بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره، وكان لبيبا حازما من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه، فلتن فعل لم يدع منا شريفا إلا قتله، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وإننا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فإذا أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا، قال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم، بل أخرجته من بلادكم، فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس في أحد منهم خير فمرج على الحبشة، فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملكوه، فقال التاجر: ردوا علي مالي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نعطيك.

فقال: إذا والله لأكلمنه، فمشى إليه فكلمه فقال أيها الملك إني ابتعت غلاما فقبض مني الذي باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا علي مالي، فكان أول ما خبر به من صلابته حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله، أو لتجعلن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء.

فقالوا: بل نعطي ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد علي ملكي، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه . وقال موسى بن عقبة: كان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه إن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار ، فمات عمه من ليلته وقضى، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه ⁽⁷⁾ . وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى النجاشي، كما كتب إلى غيره من الملوك والحكام، وقد بعث رسول الله ص عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وأصحابه، وكتب معه كتابا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، سَلَّمَ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَحَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُؤَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقْرِهُمْ، وَدَعِ التَّجَبُّرَ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نُصْحِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

فكتب النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ بْنِ أَبَجَرَ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَّغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، فَو رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ ثَمَرُوهَا⁽⁸⁾، إِنَّهُ كَمَا قُلْتُ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْتُ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرَيْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدَّقًا، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَابَنِي أَرَاهَا مِنَ الْأَصْحَمِ ابْنَ أَبَجَرَ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَتِيكَ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ⁽⁹⁾. ويا للعدل والانصاف، فقد صدق الرجل في رده على كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما تبين صدق ما جاء به، لأن من هم على التصريحية

الحققة، يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجدون نعته في كتبهم. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ، أَمِينًا عَلَى دِينِنَا، وَعَبْدَنَا اللَّهُ لَا نُؤَدِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ فُرَيْشًا، انْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يَهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يَسْتَطِرْفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ. وَكَانَ مِنْ أَغْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتَرَكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَرُومِيِّ، وَعَمَرُوهُ بِنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تَكْلُمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُّوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْلَمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَكْلَمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِثْلَ غُلْمَانٍ سَفَهَاءَ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَكْلَمَهُمْ، فَإِنْ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ مِمَّا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِثْلَ غُلْمَانٍ سَفَهَاءَ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ مِمَّا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمَرُوهُ بِنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَّقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ مِمَّا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَاسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلَبِزُواهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ

النَجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمَ لِلَّهِ، إِذَا لَا أَسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوِرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسَلْتُهُمُ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتُ: ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَاَهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَتَشَرُّوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَاكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ بِأَكُلِ الْقَوِيِّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصَدَقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَقَافَهُ، «فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحَبَاةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّيَامِ»، قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْتَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكِ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جَوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرِجَ مِنْ مَشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أَكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا نَبَيْتُهُمْ غَدًا عَيْنُهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ اسْتَأْصَلَ بِهِ خُضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ - وَكَانَ أَتَقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَأَخْبِرْتَهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِنْهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُوْدًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتُ هَذَا الْعُوْدَ، فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَحَرْتُمْ وَاللَّهِ أَذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سَيُومُ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْأَمْنُ - مَنْ سَبَّكُمْ غَرَمٌ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرَمٌ، فَمَا أَحْبَبُ أَنْ لِي ذِبْرًا ذَهَبًا، وَأَيُّيَ أَذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ

حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذَ الرُّشُوءَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ⁽¹⁰⁾.

حاولت قريش بكل الوسائل والسبل، من كذب وإغراء ورشاوى، إظهار المهاجرين بمظهر المعتدي، وتلك أساليب تتخذها اليوم كثير من الدول بتكميم الأفواه، وعدم إعطاء الفرص للآخرين لعرض ما عندهم والدفاع عن أنفسهم.

لكنَّ النجاشي وهو الحكم العدل، أعطى المسلمين الحق في الدفاع عن أنفسهم. نصرته المستضعفين وحمائيتهم من الأعمال الفاضلة، ولئن كانت القوانين الدولية تحض على حماية اللاجئين، وتوفير الملاذات الآمنة لهم، فإن الأديان الحقّة تامر بذلك، قال تعالى: { وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الأنفال: 72]. أحسن المسلمون الاختيار باختيارهم لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي تحلى بالهدوء وحضور البديهة، والاحاطة بالأمر، والهدوء في الحوار، وعدم اللجوء للإثارة، وتلك من أهم عوامل نجاح الحوار، والوصول إلى نتائج، لأنك اليوم ترى في كثير من الحوارات الجنوح نحو الانتصار للنفس. وتعتبر المقدمة التي استهل بها جعفر رضي الله عنه كلامه، تمهيدا لأهل العقول أن يدركوا أنَّ الدين الذي جاؤا به هو الحق، ذلك أنَّه تكلم عن المجتمع الذي كانوا فيه، وما فيه من جاهليّة، وانعدام المعايير الصحيحة والثابتة في التعامل بين الناس.

لم ينصرف جعفر بن أبي طالب لإثارة الموقّدين، وإنما ردَّ على سؤال النجاشي بكل ثبات، مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ بيّن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بعد ما بيّن معرفتهم به وبأخلاقه، وذلك مهم جداً، لأنَّ من يتصدى لقيادة الجماعة يجب أن يكون أهلاً لذلك.

بيّن جعفر رضي الله عنه الظلم والاضطهاد الذي واجهتهم به قريش، ما دفعهم للهجرة لملك لا يظلم عنده أحد، وفي ذلك بيان لقيمة مهمة عند أمة الإسلام، وهي الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، وإن لم يكونوا على ديننا.

لما رأى النجاشي صدقهم في الطرح، وثباتهم على ما هم عليه، طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه شيئاً مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقرأ عليه آيات من سورة مريم، فما كان من النجاشي إلا أن بكى، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيُخْرِجُنِي مِنْ مَسْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلَقًا قَوْلَ اللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ ابْدًا.

الحاكم الذي لا يستطيع إقامة الأحكام الشرعية، بسبب المحيطين به، فإنه يتقي الله ما استطاع، ويقيم ما يطيقه، أمّا ما لا يطيقه فيعذر فيه، وقد قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16]، فالنجاشي لو جهر بإسلامه ربما قتلوه، قال ابن تيمية رحمه الله: والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن؛ فإن قومه لا يقرّونه على ذلك وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك بل هناك من يمنعه ذلك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها

(11)

لقد كان النجاشي نموذجاً للحاكم العادل، الذي يبقي الله دولته بسبب العدل، ويمكن له، وقد قيل: «الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»⁽¹²⁾. وقد أمرنا ديننا أن نعدل حتى مع أعدائنا، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8]. ويعتبر إسلام النجاشي ثمرة من ثمرات العدل في القول، لأن من يتأمل كلام جعفر رضي الله عنه، يجد فيه العدل في القول، بعيداً عن الاستهزاء والاستخفاف، والاعتراف بما كانوا عليه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم للأفضل. ولما كان الأنبياء إخوة، وديننا لا يفرق بينهم، كما قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: 285]، لذلك تطابق الفهم عند المسلمين مع ما عند النصرانية الحق، ولذلك قال النجاشي: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مَشْكَاءٍ وَاحِدَةٍ. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ، أُمَّهُائِهِمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»⁽¹³⁾.

النتائج

1. أهمية الهجرة في سبيل الله تعالى، وأنها وسيلة من وسائل استمرار الدعوة إلى الله تعالى.
2. السياسة لا تعني النفاق ولا المراوغة، وإنما هي وضع الأمر في موضعه الصحيح.
3. كفالة الحقوق والحريات للمواطنين ولمن هاجروا إليهم، أمر أقرته الشرائع السماوية، فأعطت الأقليات حقوقها.
4. 4/ جواز صلاة الغائب على المتوفى الذي لم يصلى عليه.
5. أن الحاكم إذا عجز عن إقامة أحكام الدين لأسباب قاهرة، فإنه يتقي الله ما استطاع، ويؤجر على ذلك.
6. التضحية بكل ما يملك الإنسان من أجل أن يسلم له الدين.
7. المؤمن صادق في كل الأحوال لا تتغير مبادئه بتغير الزمان والمكان.
8. ضمنت الهجرة مبدأ المساواة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمر بالهجرة كانت بنته رقية وزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما على رأس المهاجرين.
9. قيمة العدل وأهميته في بناء المجتمعات على أسس من الحق.

التوصيات

1. على الأمة أن تحسن التآاور مع الأعداء الذين يضطهدون المسلمين ويقهروهم، ويسومونهم ألواناً من العذاب، وذلك يقود أقل ما يمكن أن يقال: إلى كف الأذى عنهم.
2. على القادة والمسؤولين الاهتمام بالتخطيط، مع مراعاة أن يكون وفق معطيات صحيحة، مع متابعة تنفيذه على أرض الواقع.
3. على الدبلوماسية المسلمة العمل على إقناع مراكز التأثير والقرار في العالم بأن الإسلام دين السّماحة، وأنه بريء من الإرهاب وما يلصق به من تهم.

الهوامش:

- (1) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م، ط1 بالرقم 1740، (3/ 263)، إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليس (3/268).
- (2) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، السيرة النبوية لابن هشام، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375 هـ - 1955 م، ط2 (1/ 321، 322).
- (3) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422 هـ، ط1، بالرقم 1245، (2/72). مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بالرقم 951، (2/ 656).
- (4) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة، الناشر: دار الفكر - بيروت، 1409 هـ - 1989 م، (1/ 119/120). أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، ط1، (1/ 347).
- (5) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، السنن الكبير، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور/ عبد السند حسن يمامة)، 1432 هـ - 2011 م، ط1، بالرقم 14461، (14/483).
- (6) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ - 2001 م، ط1، (6/328).
- (7) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، البداية والنهاية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ - 1988 م، ط1، (3/95) - 96.
- (8) تفروق: الغلاف بين النواة والقشرة.
- (9) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث - بيروت، 1387 هـ، ط2، (2/652)، (653). عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، ديوان

- المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ط2، (2/450، 451)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: 1395 هـ - 1976 م، (2/ 42، 43).
- (10) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مسند أحمد ط الرسالة بالرقم 1740، (3/ 263، 268)، إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه.
- (11) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجموع الفتاوى، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، (19/ 218).
- (12) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، ص 7.
- (13) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، بالرقم 3443، (4/167).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- (1) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة، الناشر: دار الفكر - بيروت، 1409 هـ - 1989 م.
- (2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، البداية والنهاية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ - 1988 م، ط1.
- (3) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: 1395 هـ - 1976 م.
- (4) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ ط1.
- (5) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، السنن الكبير، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور) عبد السند حسن يمامة، 1432 هـ - 2011 م، ط1.
- (6) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م، ط1.
- (7) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية الناشر: دار الكتب العلمية، ط1.
- (8) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجموع الفتاوى، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ/1995 م.
- (9) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ط2.
- (10) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، السيرة النبوية لابن هشام، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375 هـ - 1955 م، ط2.
- (11) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422 هـ ط1.

- (12) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث - بيروت، 1387 هـ ط2.
- (13) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمّامة، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ - 2001 م، ط1.
- (14) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

إضاءات حول الحركة الوطنية في السودان (1899م- 1989م) (دراسة تاريخية تحليلية)

أستاذ مساعد - (متعاون) - كلية التربية
جامعة أم درمان الإسلامية

د.علي أحمد عباس محمد

مستخلص:

تناولت هذه الورقة الحركة الوطنية في السودان خلال الفترة من (1899-1989م) تمثلت مشكلة البحث في الدول الذي لعبه الاستعمار في السودان باعتباره دوراً محورياً في خلق الانقسامات وتزكية الطائفية والعمل على نشر القبلية والعنصرية بين كافة المجتمع وقد عمد لفعل ذلك منذ دخوله السودان وعمل على واد كل حركات التحرر الوطني وقمست الدراسة إلى أربعة مباحث عالجت مع بعضها موضوع الدراسة، وانتهجت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي المستند للحقائق والوثائق التاريخية بهدف إثراء المادة والموضوع وتوصلت إلى عدد من النتائج نذكر منها الرأي العام يسود في البلاد التي حظيت بالديمقراطية. والشعب رقيب على السلطة ولهم الحق في مطابقة أعمال الإداريين بالقوانين واللوائح المنظمة لها. كما ساهم الرأي العام السوداني في السياسة الخارجية برفع اسم السودان من القائمة السوداء المقيدة للأديان بأمريكا، وفوزها بمقعد حقوق الإنسان لدى الأمم المتحدة بجنيف، بتطبيقها للحقوق والحريات العامة. ومن خلال هذه النتائج توصي الدراسة بأنه يجب إشراك الشعب في الرقابة الفعلية لإدارة شؤون الدولة وبذلك تتحقق سيادة الشعب فعلاً لا حكماً. وعلى السودانيين الضغط على الحكومات المتعاقبة بالرأي لتطبيق الديمقراطية. والتزام العسكر بتسليم السلطة للمدنيين عند إعلان انحيازها في أي ثورة.

illuminations about the national movement in Sudan

(1899- 1989AD)

(Analytical historical study)

Dr.Ali Ahmed Abbas Mohammed

Abstract:

This paper dealt with the national movement in Sudan during the period (1899-1989). The problem of research was represented in the countries that colonialism played in Sudan as a pivotal role in creating divisions and encouraging sectarianism and working to spread tribalism and racism among the entire society. He has deliberately done this since entering Sudan and worked on The valley of all national rebellion movements. The study was divided into four sections that dealt with each other the subject of the study. The people are watchdogs of the authority and they have the right to conform the actions of administrators with the laws and regulations regulating them. Sudanese public

opinion also contributed to foreign policy by removing Sudan from the black list of religions in America, and winning the human rights seat at the United Nations in Geneva, by applying public rights and freedoms. Through these results, the study recommends that the people should participate in the actual oversight of the management of state affairs, and thus the sovereignty of the people will be achieved in practice and not in judgment. The Sudanese must put pressure on successive governments to implement democracy. And the commitment of the military to hand over power to civilians when announcing its bias in any revolution.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الواحد القهار، الكريم الغفار مولج النهار في الليل ومولج الليل في النهار، الذي خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد النبي المختار صلاة وسلاماً دائماً ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آل بيته الاصهار، وصحبه الأبرار.

هنالك أدلة مقبولة يمكن يستخلص منها أن الحركة الوطنية في السودان انطلقت في بداية العشرينات وهي ما تمت تسميته بالحركة الوطنية الحديثة والتي أدت لاستقلال السودان في العام (1956م) كما حدث في الأقطار الأخرى التي خضعت للحكم الأجنبي وكيفما كان سحر تلك الحركات فقد اتسمت بالسمة من مواجهة المستعمرين. ولكن مهما يكن من أمر فإن الاستعمار البريطاني قد علم بمولد الحركة الوطنية السودانية وفقاً لما ورد في تقارير المخابرات البريطانية وسواء كان صحيحاً اعتبار تلك الفترة والشعور المعادي للاستعمار يمكن اعتبار تلك الاحتجاجات انبعثت من حركات ذاتية وقد آثار ذلك كانت الحركة الوطنية وكان مولد الحركة الوطنية السودانية الحديثة في تلك الحدود انعكاساً للجو الوطني الثائر بمصر وقد كان تأسيساً حديثاً من جملة أعضاء مؤسسين من أبناء الجيل الصاعد وقد ضم كل من عبيد حاج الأمين وتوفيق صالح جبريل، ومحي الدين جمال أبو سيف وإبراهيم بدري وسليمان كشة وكان ذلك النواة الحقيقية لجمعية اللواء الأبيض في الفترة من 1918-1924م

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما شهدته تلك الفترة من جمع السودانين لصفوفهم وازياد الحس الوطني في دواخلهم وانطلقت الجمعيات التي تنادي بالتححرر والانعقاد من الاستعمار وتكوين الخلايا الوطنية وازداد الوعي بين المتفوقين لتنتقل شرارة الثورة التي اربكت الاستعمار وصار مدعوراً وخائفاً من المد الوطني والثورة.

أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن اختيار الموضوع عبر الصدفة إنما بالتدقيق فقد كانت تلك الفترة بمثابة النواة التي توحدت فيها مشاعر السودانين وانطلقوا في خطوات محسوبة لمقاومة الاستعمار عبر الندوات والليالي السياسية التي كانت تقدم على مرأى وسمع من المستعمر وقد أدى كل ذلك في بث الوعي بين الجماهير.

مشكلة البحث:

لعب الاستعمار دوراً محورياً في خلق الانقسامات وتزكية الطائفية والعمل على نشر القبلية والعنصرية بين كافة المجتمع وقد عمد لفعل ذلك منذ دخوله السودان وعمل على واد كل حركات التحرر الوطني التي تسعى لتنظيم صفوفها والعمل على توعية المجتمع لآخر صفوفه وممارسة تفوق الديمقراطية عبر منابر حرة تستطيع من خلالها إرسال صوته المناادي بالحرية ورفض الهيمنة الاستعمارية ونهب ثروات البلاد والعمل على إرساء دعائم حكمه بالقبضة الحديدية والحكم بالحديد للوصول لأهدافه عبر الطرق التالية:

التفريق بين أبناء الوطن الواحد دعماً لسياسة العنصرية المتبعة.
إقامة مناطق مقفولة في جبال النوبة حتى تظل مناطق خالية من الخدمات ومنفصلة عن الوطن لزرع روح الكراهية بين أبناء الشعب الواحد.
العمل على قمع الحريات وعدم قيام منابر تعادي المد الاستعماري والتنكيل بالمعارضين. القضاء على الحركات والانتفاضات التي تطالب بالحرية والاستقلال.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يلي:
توضيح السياسة الاستعمارية البريطانية ومؤثراتها في خلق الفتن وزرع النفاق بين أبناء الوطن الواحد.

كشف الجهود التي بذلتها الكيانات والجمعيات الوطنية في فضح مخططات المستعمرين.
معرفة الدوافع الحقيقية لدى المستعمر من فرض تلك السياسة.
كشف الأساليب والوسائل لطمث الهوية العربية وتطبيق سياسة المناطق المغلقة وإثارة للفتن وتمزيق الوطن الواحد.

فروض البحث:

إن القبائل والأجناس الزنجية والعربية صارت هدفاً سهلاً المنال للمستعمر البريطاني وذلك من خلال سياسة فرق تسد وأيضاً محاربة الثقافات والتفريق بينها إضافة لسياسة المناطق المقفولة كما حدث بجنوب السودان وجبال النوبة.

منهج البحث:

إن المنهج المتبع في عرض مادة البحث هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي المستند للحقائق والوثائق التاريخية بهدف إثراء المادة والموضوع.

اتفاقية الحكم الثنائي بوابه الحكم الثنائي في السودان

الحكم الثنائي 1899-1936م:

1/ مسألة السيادة على السودان:

لا خفاء في أن بريطانية قررت قبل سقوط الخرطوم في أيدي القوات المصرية والبريطانية والتوقيع على اتفاقية 19 يناير 1899م بشأن إدارة السودان إحداث تغيير في المركز القانوني والسياسي للسودان، فقد

أمر كتشنر قائد الحملة المصرية البريطانية المشتركة لإعادة فتح السودان برفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري في الخرطوم عند سقوطها، كما اخطرت الحكومة البريطانية الحكومة المصرية في حملة استرجاع السودان، فقد قررت الحكومة البريطانية رفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري وإن يكون لصوتها الغلبة في جميع المسائل المتعلقة بالسودان، وفي يناير 1899م أعلن كرومر قنصل بريطانيا العام في مصر في خطاب ألغاه في الخرطوم أن رفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري يعني أن السودان سيحكم ثنائياً بواسطة ملكة بريطانيا وخبديوي مصر.⁽¹⁾ وكان كرومر بالتشاور مع مالكوم نكلون المتشار القانوني للحكومة المصرية قد بلور أفكاره بشأن مستقبل السودان السياسي والقانوني في مشروع اتفاقية ومذكرة تفسيرية بعث بها في 10 نوفمبر 1898م إلى الخديوي استبعد كرومر في حكومته ضم السودان إلى بريطانيا لاعتبارات سياسية ومالية فهو لا يريد أن يحمل الخزانة البريطانية تكلفة إدارة السودان، كما أنه لا يريد إثارة الرأي العام المصري أو تركيا صاحبة السيادة الأسمية على مصر والسودان أو الدول الأوروبية خاصة فرنسا التي لم تكن قد أفادت بعد حادثة فشودة. وفي نفس الوقت استبعد كرومر إعادة السودان إلى حظيرة الدولة العثمانية لما سيؤدي ذلك إلى تطبيق الامتيازات الأجنبية التي كانت سارية وفي جميع أرجاء الدولة العثمانية، كما سيؤدي إلى عودة الإدارة المصرية - التركية التي كان فسادها واحداً من أسباب نشوب الثورة المهديّة. وكحل وسط اقترح كرومر أن يكون السودان مصرياً وبريطانياً في آن واحد. وهل كما قال كرومر فيكون مصرياً إلى الحد الذي يتفق مع مقتضيات العدل والسياسة، وبريطانيا إلى الحد الذي يجتنب السودان تطبيق نظام الامتيازات الأجنبية الذي يلازم حياة مصر السياسية.⁽²⁾

توقع كرومر أن يطعن في مشروع الاتفاقية على أساس مخالفته لأوامر الباب العالي التي تحظر على خديوي مصر الدخول في معاهدات سياسية والتصرف في أي من الأقاليم المسندة إليه. ولكن كان من رأي كرومر أن هذا الطعن يمكن الرد عليه على أساس أن الاتفاقية ليست معاهدة بالمعنى الصحيح، وبالتوقيع عليها فإن الخديوي لا يؤدي عملاً من أعمال السيادة الخارجية، وهنا يمارس حقه في وضع ترتيبات الإدارة الداخلية للأقاليم التي أسندها إليه الباب العالي، كما أن استمرار رفع العلم المصري في السودان دليل على أن السيادة التركية لا تزال معترفاً بها جزئياً في السودان.

لم يطمئن كرومر إلى هذا الدفع أو كفايته لتبرير تمييز السودان عن بقية أجزاء الدولة العثمانية، لذلك أثر أن يبنى مركز بريطاني في السودان على أساس أن الجيش المصري وهو جزء من الجيش العثماني قد فشل في تأمين مركزه في السودان، وبدون الدعم والعون المادي والعسكري البريطاني لم يكن في مقدور الجيش المصري استعادة السودان وموجب قواعد القانون الدولي فإن هذا من وجهة نظر كرومر يلقي على الحكومة البريطانية الحق في تحديد النظام المستقبلي للسودان، فالخديوي لم يتنازل لبريطانيا عن شيء وإنما حصل منها على تنازلات. وخلص كرومر إلى أن الحقوق التي اكتسبتها بريطانيا في السودان بمقتضى حق الفتح ينبغي أن تشكل المبرر لخلق نظام إداري وسياسي للسودان يختلف عن النظام الموجود في مصر.

وبمطالعة مواد اتفاقية 19 يناير 1899م التي وقعها كرومر وبطرس غالي رئيس مجلس نظام الخديوي نجد أنه في الفترة الأولى من الديباجة أن بعض أقاليم السودان خرجت عن طاعة الخديوي، وأنه قد أمكن فتحها بالوسائل الحربية والمالية المشتركة التي بذلتها الحكومتان المصرية والبريطانية، واصبح مدلول لهذه

الفقرة هو أن السيادة المصرية على السودان لم تنقض بل استمرت خلال فترة حكم المهديّة بالرغم من إنها من الحاميات المصرية، ولكن الفقرة الثالثة من الديباجة نصت على الحقوق التي ترتبت لبريطانيا بالفتح والتناقص بين هاتين الفقرتين واضحاً، وقد اعترفت بذلك دراسة أعدت لوزارة الخارجية البريطانية في 17 يناير 1923م حول علاقة السودان بمصر، أشارت هذه الدراسة إلى أنه إذا كانت السيادة القانونية على السودان قد ظلت دائماً لمصر، فإن حق الفتح يمكن أن ينشأ لصالح جيش في حرب ضد المصريين ولكن ليس لصالح قوات متحالفة معهم.⁽³⁾

ونصت المادة الثانية من الاتفاقية على أن يرفع العلمان البريطاني والمصري في جميع أنحاء السودان باستثناء سواكن حيث يرفع فيها العلم المصري وحده، وذلك باعتبار أن سواكن لم تسقط في قبضة ثوار المهديّة ولم تنسحب منها القوات المصرية وبوجه عام يلاحظ أن سواكن قد استثنيت من تطبيق نظام الاتفاقية فالمادة الثامنة من الاتفاقية نصت على أنه فيما عدا سواكن فليس للمحاكم المختلطة اختصاص في السودان، كما وضعت الاتفاقية بموجب المادة التاسعة كل السودان تحت الأحكام العرفية باستثناء سواكن ولكن سواكن الحقت بنظام اتفاقية 19 يناير 1899م بمقتضى اتفاقية أخرى وقعت في 10 يونيو 1899م، وطبقاً لهذه الاتفاقية فقد القيت كل مواد اتفاقية 19 يناير 1899م التي كانت تستثني سواكن عن نظام تلك الاتفاقية وأصبحت سواكن تعامل كباقي أجزاء السودان الأخرى. وقد قررت محكمة القاهرة الابتدائية المختلطة في عام 1910م أن اتفاقية 19 يناير 1899م نشأت سيادة بريطانية - مصرية مشتركة في السودان وأقامت فيها كياناً حكومياً مستقلاً عن مصر، وانتهت المحكمة أيضاً إلى أن السودان بعد حملة الاسترداد لم يعد إلى مصر خالياً من القيود بل عاد إليها مثقلاً بالحقوق التي ترتبت لبريطانيا بالفتح. ولكن خلافاً لما قصد كرومر مهندس اتفاقية 19 يناير 1899م وما انتهت إليه اتفاقية 19 يناير 1899م لم تؤثر على سيادة على السودان، فبريطانيا بمقتضى الاتفاقية تشارك في إدارته، وأما السيادة عليه فتعود لمصر وحدها، وسنرى أن هذا التفسير قد تواتر في كل جولات المفاوضات المصرية - البريطانية بشأن مسألة السودان، وأما اتفاقية 1899م فإنها وضعت لتقدير الاشتراك بين مصر وبريطانيا في إدارته، ثم قال حتى تهيأت الظروف لإعادة فتحها، فاشتركت إنجلترا مع مصر في جزء الجزيرة التي أرسلت إليه والأموال التي اتفقت عليه، ولكنها لم تدع يوماً حقاً في السودان بسبب هذا الاشتراك، فإمّا خرج السودانيون باسم مصر ولمصلحة مصر وما زالت مصر تسد عجز ميزانيته حتى عهد قريب.⁽⁴⁾ وسنرى من خلال البحث آثار اتفاقية 19 يناير 1899م وتأكيد سيادتها على السودان، وقد كان من بين هذه السبل المطالبة بالاشتراك الفعلي في إدارة السودان، والمطالبة في عام 1946م بإعادة النظر في معاهدة 1936م ومطالبة مجلس الأمن في عام 1947م بإنهاء النظام الإداري الذي أنشأته للسودان اتفاقية عام 1899م، وتطور الأمر إلى أن بلغ في أكتوبر 1951م حتى الغاء مصر بارادتها المنفردة لاتفاقية 1899م ومعاهدة سنة 1936م ووضع السودان تحت التاج المصري مما أوصل المفاوضات المصرية - البريطانية بشأن مسألة السودان والجلء عن مصر إلى طريق مسدود.

بريطانيا تنفرد بإدارة السودان:

عهدت المادة الثالثة من اتفاقية 19 يناير 1899م بالسلطة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى موظف واحد (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة

ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية. ولم يحدث أن رشحت الحكومة البريطانية مصرياً لتقلد منصب الحاكم العام. طيلة فترة الحكم الثنائي كان الحاكم العام دائماً بريطانياً، وقد انتقض رئيس وزراء مصر محمد فهدى النقراشي ذك في خطابه أمام مجلس الأمن في أغسطس 1947م حين قال: « وبينما اتفاد 1899م ليس فيه ما يمنع أن يكون الحاكم العام مصرياً، فقد جرى العمل أن يكون الحاكم العام مصرياً، وقد يرى العمل أن يكون دائماً بريطانياً، ورد عليه ممثل بريطانيا في مجلس الأمن الإسكندري دوقان قائلاً: «حقاً أن الحاكم العام كان دائماً من الرعايا البريطانيين، وفي سنوات الحكم الثنائي الأول كانت إدارة السودان في يد العسكريين فقد أختير المديرون والمفتشون من العسكريين وكان مدير المديرية يتولى أيضاً قيادة القوات الملكية المرباطة في مديريته ومن مقتل الحاكم السودان العام السيرلي استاك في القاهرة في 19 نوفمبر 1924م كان سردار الجيش المصري هو أيضاً حاكم السودان العام، ويبدو أن كرومر قد قصد أن يركز السلطتين المدنية والعسكرية في يد شخص واحد وأن يكون هذا الشخص من العسكريين، فقد كان من رأيه أن السودان لا يسع لرجلين كبيرين أحدهما يقود الجيش والآخر يرأس السلطة المدنية، فالتنافس بينهما والتداخل بين السلطتين فلذا ألا يوضعا في مواقع قد ينشأ فيها تنازع في الولاء. وقد انتقدت لجنة هلتر في عام 1920م الجمع بين وظيفتي الحاكم العام وسردار الجيش المصري واقترحت تعيين حاكم عام مدني عند سnoch أول فرصة وقد سنحت هذه الفرصة في نوفمبر 1924م عند مقتل السيرلي استاك حاكم السودان العام وسردار الجيش المصري إذ خلفه جوفري أرشر كحاكم عام ولم تسند إليه سردارية الجيش المصري.

خلال العقد الأول من الحكم الثنائي كان الحاكم العام يباشر سلطاته منفرداً ولكن صدر في عام 1910م قانون بإنشاء مجلس للحاكم العام، وقد كان أعضاء المجلس كلهم من البريطانيين، إذ كان مكوناً من أربعة أعضاء بحكم مناصبهم هم المفتش العام والسكرتير الإداري والسكرتير المالي والسكرتير القضائي، ومن أعضاء إضافيين لا ينقص عددهم عن اثنين ولا يزيد عن أربعة يعينهم الحاكم العام لفترة ثلاثة أعوام.

لم يؤثر إنشاء مجلس الحاكم العام على سلطات الحاكم العام فقد قصد بانهقاد المجلس مساعدة الحاكم العام في تعريف المهام التشريعية والتنفيذية التي أوكلتها إليه اتفاقية 19 يناير 1899م فمع أن القوانين والموازنة أصبحت تصدر من الحاكم العام للمجلس إلا أن قانون المجلس منج الحاكم العام لأسباب يراد بها سلطة تجاوز رأي أغلبية المجلس، كما أن صلاحيات المجلس لم تشمل التعينات والأمور العسكرية وشؤون الدفاع إلا إذا رغب الحاكم العام في أخذ رأي المجلس وفي هذه الحالة يكون رأي المجلس استشارياً. ظل مجلس الحاكم العام قائماً حتى عام 1948م حيث حل محله المجلس التنفيذي للجمعية التشريعية، وبالرغم من أن قانون مجلس الحاكم العام عرض على الحكومة المصرية، ووافقت عليه، إلا أن مصر لم تمثل في المجلس، ويتولى لاحقاً أنها عندما طالبت بذلك خلال مفاوضات معاهدة سنة 1936م كان أقصى ما حصلت عليه هو موافقة الحكومة البريطانية على دعوى مفتش عام الري المصري بالسودان لحضور جلسات مجلس الحاكم العام.

3/ سلطات الحاكم العام التشريعية:

خولت المادة الرابعة من اتفاقية 19 يناير 1899م سلطة منشورات أو إلغاء أو تعديل القوانين وكافة الأوامر واللوائح التي كون لها قوة القانون المتعلقة بإدارة السودان أو بحقوق الملكية بجميع أنواعها وكيفية

أيلولتها والتصرف فيها، والزمّت المادة الرابعة الحاكم العام في القاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الخديوي،⁽⁵⁾ وحظرت المادة الخامسة من الاتفاقية تطبيق أي قانون أو أمر عال أو قرار وزاري مصري على السودان إلا إذا صدر منشور من الحاكم العام بالموافقة على ذلك.

كان مشروع المادة الرابع من الاتفاقية الذي أعده كرومر ينص على أن تتوقف على الموافقة المسبقة للخديوي والحكومة البريطانية، ويجاز المشروع للطرفين من وقت لآخر، إسقاط شرط الموافقة المسبقة، وفي تقرير ذلك قال كرومر أن الرقابة الحقيقية على الحاكم العام ستكون من قبل الحكومة البريطانية عبر قنصلها العام في القاهرة، ولكن لابد من ذكر الخديوي أيضاً، فبالرغم من أن السودان كيان سياسي مستقل، إلا أنه لا يزال إقليمياً مصرياً وطالما أن مصر تتحمل أعباء السودان المالية فمن الضروري والمرغوب فيه أن يسمع صوتها.⁽⁶⁾ ولكن المادة الرابعة كما منحت في اتفاقية 19 يناير 1899م ألغت شرط الموافقة المسبقة، ولم تجعل نقاط القوانين التي يصدرها الحاكم العام متوففاً على موافقة الحكومتين المصرية والبريطانية، كما لم تمنح أي من الحكومتين حق نقض القوانين التي يصدرها الحاكم العام، وبالفعل صدرت في عام 1901م العديد من القوانين ونشرت في الجريدة الرسمية قبل أن ترفع إلى كرومر وإلى الحكومة المصرية، ولم يجد ذلك قبولاً لدى كرومر فأصدر عام 1905م تعليمات إلى الحاكم العام تخالف نص المادة الرابعة وتجعل نفاذ القوانين التي يصدرها الحاكم العام متوففاً على الحكومتين المصرية والبريطانية، وقد تم التخل عن تعليمات كرومر في عهد خلفه ابلدون فوريس، ففي عام 1910م وممناسة صدور قانون مجلس الحاكم العام، كتب ي مذكره إلى الحاكم العام تحدد فيها أسس العلاقة بين القنصل البريطاني في مصر وحاكم السودان فيما يتصل بالشؤون السودانية، ففي مجال التشريعات طلب فورست الحصول على الموافقة المسبقة على كل القوانين التي تصدر من الحاكم العام في المجلس، ولم يضمن فوريس في المذكرة تعليمات بسلفه بشأن إصدار التشريعات السودانية خاصة فيما يتعلق بالحصول على الموافقة المسبقة للحكومة المصرية.

ويبدو أن الحصول على موافقة الحكومة المصرية المسبقة على القوانين التي تصدر في السودان قد توقف في سنة 1912م ففي خطابه أمام مجلس الأمن في أغسطس 1947م قال رئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي « وقد حاولت بريطانيا أن توجه الإدارة توجيهاتهم عن إغفال مطلق لحقوق مصر، ومثال ذلك أن القوانين التي تصدر في السودان كانت حتى عام 1912م تتوقف على إقرار الحكومة المصرية كما هو مفهوم الوفاق، لكن الحاكم العام أقدم من عام 1912م أكثر من مرة على إصدار قوانين دون أن تحيط الحكومة بها.

4/ أبعاد الجيش المصري من السودان:

مع أن اتفاقية 19 يناير 1899م عهدت المادة الثالثة بالرئاسة العسكرية العليا في السودان إلى الحاكم العام إلا أنها لم تنص في أي من موادها على القوات المصرية والبريطانية اللازمة للخدمة في السودان وعدد هذه القوات ومواقع إقامتها كما أنها لم تنص صراحة على ما إذا كان للحاكم العام سلطة إنشاء قوة عسكرية خاضعة له.⁽⁷⁾ خلال أحداث ثورة سنة 1924م بدأ التفكير في إبعاد القوات المصرية من السودان وإنشاء قوة عسكرية خاصة للحاكم العام وبعيدة عن المؤثرات المصرية الحربية بالخطوط كما خرجت كتيبة السكة حديد المصرية في كل من عطبرة وبورتسودان في تظاهرات وبسبب ذلك أبلغت الحكومة البريطانية الحكومة

المصرية في 15 أغسطس 1924م أنها أجازت لحكومة السودان أن تبعد في الحال عن السودان كتيبة السكة حديد وأي وحدة أخرى من الجيش المصري يرى منها عدم الولاء، وفي عام 18 أغسطس 1924م رفع السيرلي استاك حاكم السودان وسردار الجيش المصري مذكرة إلى رمزي مكدونال لرئيس وزراء بريطانيا ذكر فيها أنه لا سبيل للوضع العسكري في السودان ما دام وزير الحربية هو المسيطر على القوات العسكرية في السودان ما دام وزير الحربية هو نفسه على القوات العسكرية في السودان وشاءت الأقدار لقد اتاح مقتل استاك نفسه في القاهرة 19 نوفمبر 1924م السانحة التي كانت تنتظرها الحكومة البريطانية ففي 22 نوفمبر 1924م رسل إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة مذكرة إلى الحكومة المصرية يطلب فيها تلبية عدة مطالب، وقد نصت في المطلب الخامس على أن تصدر الحكومة المصرية خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بإرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصري من السودان، وهدد رمزي مكدونال بأنه ما لم تلّب هذه المطالب في الحال، فستخذ الحكومة البريطانية على الفور التدابير اللازمة لصيانة مصالحها في مصر والسودان، ثم اتبع رمزي هذا الإنذار بمذكرة أخرى أخطر فيها الحكومة المصرية بأنه بعد سحب الضباط المصريين والوحدات المصرية من السودان، ستحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصري إلى قوة مصلحة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها تحت قيادة الحاكم العام العليا وباسمه تصدر البراءات للضباط.

لم يقبل رئيس وزراء مصر آنذاك سعد زغلول ما اقترحه ومُزس مكدوناب من ترتيب جديد للجيش المصري في السودان لأنه يناقض نص المادة 46 من الدستور المصري التي تنص على أن المكلف هو القائد الأعلى للجيش وهو الذي يولي ويعزل الضباط، ولأنه يعدل الوصع الراهن الذي سبق أن صرحت الحكومة البريطانية برغبتها في المحافظة عليه وكان سعد زغلول يشير بذلك إلى إعلان استغلال مصر الذي أصدرته بريطانيا في 28 فبراير 1922م والذي نص من بين أمور أخرى على إبقاء الوضع في السودان على ما كان عليه إلى أن يتسنى للحكومتين المصرية والبريطانية إبرام اتفاق بشأنه، ولكن المندوب السامي البريطاني ومُزي أخطر سعد زغلول في 23 نوفمبر أنه نظراً لرفض الحكومة المصرية تلبية المطلب البريطاني بسحب القوات المصرية من السودان وفي السودان عين هولستون نائباً لسردار ونائباً للحاكم العام ولكن مهمة إجلاء القوات المصرية عن السودان، انصاعت الكتيبة الرابعة وبعض المصالح المصرية كالأشغال والمهمات لأمر الإخلاء الذي أصدره هولستون في 24 نوفمبر 1924م ولكن قوات المدفعية المرابطة في الخرطوم بحري والتي يقودها أحمد رأفت رفض لامتنثال لأمر الإخلاء.⁽⁸⁾

قرر رئيس وأعضاء المجلس رفض أمر الأخلاء، والثبات إلى انسحابه قرر وأن يعهدوا بقيادتها لأحمد رفعت، أشعل قرار المجلس الحربي الحماس في نفوس الضباط والجنود السودانيون فتحرّكت في عصر يوم الخميس 27 نوفمبر 1924م طائفة من ضباط وجنود مدرسة ضرب النار بقيادة الضباط عبد الفضيل الماظ وحسن فضيل المولى وثابت عبد الرحيم وسليمان محمد وعلي البنا قاصد لكل الخرطوم بحري للانضمام بقوات أحمد رفعت ولحق بهم في الطريق الضابط سيد فرح ومعه من الكتيبة الحادية عشر، ولكن في شارع النيل وعلى مقربة من المستشفى العسكري اعترضهم كتيبة إنجليزية في محاولة بمنعهم من اجتياز كوبري النيل الأزرق، اقتحم الفريقان في معركة حامية التزمت بها قوات أحمد رفعت الحيات التام وانتهت المعركة

في نهار الجمعة 28 نوفمبر 1924م باستشهاد عبد الفضيل الماظ واعتقال رفاقه حكم عليهم بالإعدام ونفذ فيهم جميعاً باستثناء على البنا الذي خفف الحكم بالنسبة له للسجن، بعد إخماد ثورة 1924م وإجلاء الجيش المصري من السودان، بدأت في القاهرة اتصالات بين دار المندوب السامي البريطاني والحكومة المصرية بشأن إنشاء قوة دفاع السودان.

في 7 يناير 1925م اصدر الحاكم العام منشوراً بإنشاء قوة دفاع السودان وقد جاء في ديباجة المنشور أن القوة اجبرت القوات المصرية الانسحاب من السودان ونص المنشور على أن القوة تتبع وتخضع للحاكم العام، وان الحاكم العام هو الذي يعين ويعزل جميع الضباط وتصدر البراءات باسمه. وأعلن الحاكم العام في المنشور أنه لما كانت الحكومة المصرية غير قادرة على الاستمرار في استخدام الضباط السودانيين في الجيش المصري، فإنه سيستوعب في قوة دفاع السودان كل من يراه لائقاً لذلك، وان حكومة السودان سوف تتحمل كل الالتزامات الخاصة بالمرتبات والمكافأة والمعاشات المستحقة لهم على خدمتهم في الجيش المصري.⁽⁹⁾

بالرغم من التحفظات المصرية على إنشاء قوة دفاع السودان إلا أن أحمد نور نقل إلى المندوب السامي البريطاني في 12 مارس 1925م قرار مجلس الوزراء بأن يضع تحت تصرف الحكومة السودانية مبلغ 750 الف جنيه كمساهمة في النفقات العسكرية في السودان وذلك حرصاً من الحكومة المصرية على الروابط القوية مع السودان، وتأكيداً لواجبها في الدفاع عن السودان، والغريب في الأمر أن الحكومة البريطانية قبلت المساهمة على أنها تجاهلت الحكومة المصرية في كل الأمور المتعلقة بإنشاء قوة دفاع السودان بل أن المندوب السامي وصف المساهمة بأنها حق وعدل، لأن الإجراءات التي اضطرت الحكومة البريطانية لاتخاذها لم تؤثر على السيادة المشتركة التي اوجدتها اتفاقية سنة 1899م/ وقد توقفت هذه المساهمة تدريجياً بعد معاهدة سنة 1936ك والتي سird ذكرها لاحقاً قد عادت بموجبها بعض الوحدات العسكرية المصرية إلى السودان.

المقاومة الأولى:

مقاومة الاحتلال:

تشير كتب التاريخ المختلفة هيأت مقاومة ثورية في مختلف مناطق السودان قامت الحكومة بفضها بضراوة وقسوة، فبجانب تمرد الكتبية السودانية عام 1900 في أم درمان، قامت عدة مواجهات هامة أخذت طابع المقاومة المسلحة في وجه النظام الجديد، وتم القضاء عليها قضاء بالغ الهمجية من جانب سلطة الاحتلال، من ذلك ثورة الشيخ محمد الأمين في كردفان عام 1903م، وثورة آدم محمود في سنجة عام 1906م، وثورة موسى أحمد في القضارف عام 1906م، وثورة سليمان بشر في مدني عام 1906م وثورة ود حبوبة في منطقة الحلاويين بالجزيرة عام 1908م، وثورة الحاج محمد سمير والهجوم على طابية كسلا عام 1918م، وثورة محمد ود السيد حامد في سنجة عام 1919م، وثورة السحيني في نيالا عام 1921م، وثورة 24 المعروفة في عاصة البلاد بقيادة علي عبد اللطيف وعبد الفضيل الماظ ورفاقهما،⁽¹⁰⁾ وثورة الفكي في زالنجي عام 1927م، كما كانت هنالك مواجهات أخرى بين الحكومة وبعض الوطنيين السودانيين المعادين لها لم تعرض لها التاريخ، أن أكثر قادة هذه الثورات كان يدعون النبوة العيسوية، وهو من غير رتب تقويم يخدم مصلحة

الجكومة، وجهاز مخابراتها، فإن من بين قادة هذه الثورات من أخذ مراراً أنه لم يقل بأنه عيسى أو أنه نبي، ومع ذلك انصفت به وثائق المخابرات هذه التهمة ومن ثم اعتمدها بعض المؤرخين في رواياتهم للأحداث وهي في حقيقتها افتتان صحيح وحيلة اتخذتها السلطات الحاكمة مبرراً سائغاً لإنزال أقصى العقوبات الدموية بقيادة هذه الثورات ومؤيديها، أما القول بأنها ثورات دينية فلا ينفي عنها أنها ثورات تحريرية أيضاً الغرض منها هو مقاومة الاحتلال الأجنبي، فما كان من العسير على السلطات الحاكمة أن تلجأ إلى اعتقال الزاعم أو الزاعمين وفض سامر الحركة بأسلوب سلمي، عمدت إلى اتخاذ الإجراءات العسكرية المشددة لتحقيق أهداف ثلاثة: الهدف الأول هو القضاء على أي حركة مناهضة للحكم الجديد مهما كانت. وحتى لا يلتفت حولها الناس وتصبح رمزاً لمقاومة وطنية، الهدف الثاني هو استخدام هذا الأسلوب الدموي الهجمي حتى يرتدع الكل ويسلموا تسليماً صاغرين منقادين للحكم الأجنبي طوعاً أو كرهاً، أما الهدف الثالث فهو ضم هذه الحركات الوطنية حتى لا تحظى عند أهل البلاد بشغف الانتقام في وجدانهم وفي دفاتر التاريخ المقاومة الوطنية للاحتلال الأجنبي، لقد تحقق الهدف الأول عن طريق آلة البطش الهجمي التي ازدهقت مئات الأبرياء المقاتلين في سبيل حرية بلادهم ومعتقداتهم وظلوا واهمين أنهم حققوا الهدف الثاني بنشر الرعب في النفوس ناسين أن ما لم يسر نبيلة بالروح والسيوف من الممكن ابتقاؤه والحصول عليه في عالم متغير تناقضت فيه ظلال الحمية والاستبداد عن طريق الكفاح السلمي الواعي الدؤوب، أما الهدف الثالث فما كان قابلاً لتحقيق أصلاً، لأن ذكرى التاريخ في وجدان الشعوب، كتاب مرقوم، لا بتعاطفه أن يشتمل على أسماء وهبوا نفوسهم فداء لحرية الوطن.⁽¹¹⁾

ثورة ود حبوبة 1908م:

نشأ عبد القادر محمد أمام (ود حبوبة) في بيت دين عريق في قبلة الحلاوين كان من مقاتلي المهديّة الضارين ومن بين الذين وقعوا في الأسر في مصر بعد موقعة توشكي 1886م عرف الأمام المهدي قبل أن يجهر بدعوته وقاتل في صفوف ثورة المهديّة في العديد من معاركها، وبعد إعلان السلطات الاستعمارية للعفو العام عاد إلى موطنه الجزيرة ليجد أن الحكومة قد منعت تجمعات الأنصار وقراءة راتب المهدي وكثفت الرقابة على رجال الدين، أجمع الناس على أنه من أهالي الجزيرة ما خرج بمنحة الخلاوي للطلاب وينشرون المدائح وما أن ذاع صيته كرجل دين له سابق في نصرة الدعوة حتى تحركت أجهزة الرقابة وتكاثر المرجفون يتعاون ود الحكومة بالوشايات وفي يوم الأربعاء 26 أبريل 1908م جاء إليه بقرية تجور كل من مفتش رفاعة سكوت مذكرين ومأمور المسلمية اليوزباشي محمود شريف، قام باكرامهما، ولكن أنهما حرصا على استفزازهما بتوجيه أسئلة له اعتبرها مسيئة في حقه، وبلغ الاستفزاز مبلغاً جعله هو وأحد رفاقه يتصديان لهما ويشتبكان في معركة انتهت بقتل الضيفين، فما كان على السلطات أن حشدت قوة كبيرة بقيادة الأمير الـاي ديكتسون فتوجهت إلى قرية كتشيتة وعسكرت هناك مساء الجمعة فما علم عبد القادر بنية الحكومة المبيتة للقضاء عليه سارع هو ورجاله بمهاجمة القوات الحكومية المعسكرة في كتشيتة في الثانية ونصف بعد منتصف الليل، أسفرت عن مقتل ضابطين بريطانيين وثمانية أفراد، وقتل أيضاً الناصر عبد العزيز مجدي واليوزباشي محمد أفندي ياقوت مامور الكاملين، وخرج الأمير الـاي ديكتسون والكباشي لوغان واليوزباشي حسين صوفت ومات الأخيران متأثرين بجراحهما، بلغ عدد الجرحى من الحكومة واحد وثلاثين قتيلاً ونحو ثمانين جريحاً أما القوة

العسكرية القادمة من الخرطوم وصلت قرية تجور مساء السبت 2 مايو 1908م.

إرهاصات الثورة:

وفي 2 يوليو 1919م غادر وفد من السودانيين البلاد لاندجلترا لتهنئة ملك بريطانيا بالنصر في الحرب العالمية الأولى. وقصد الموظفون البريطانيون الذين اختاروا أعضاء الوفد والذين قبلوا من جانب السودانيين لتمثيلهم، أن يكون في ذلك دلالة على الامتنان نظراً لاخلاصهم للامبراطورية في صراعها ضد أعدائها. وشمل تكوين الوفد القوى المحافظة وزعماء القبائل المخلصين الذين أعيدت عليهم الإدارة البريطانية منذ عام 1898م، فقد اشتمل أولاً على زعماء طرق الصوفية الرئيسية الثلاثة أي السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية، والشريف يوسف الهندي زعيم الطائفة الهندية، وهي فرع من السمانية، والسيد عبد الرحمن المهدي، الذي أمل ونجت في أنه قد يحول المهديّة إلى طريقة دينية سلمية كالطريقتين الأخرتين واشتمل الوفد على ثلاثة ممثلين للعلماء من كبار الموظفين ومن ذوي الحظ الوافر من الاحترام في أوساط المدن والمثعلمين نظراً لثقافتهم الدينية الواسعة ومراكزهم الرسمية، وهم الشيخ الطيب محمد هاشم مفتي السودان، والشيخ أبو القاسم أحمد هاشم رئيس العلماء، والسيد إسماعيل الأزهرى (الكبير) القاضي الشرعي بدارفور.⁽¹²⁾ وضم الوفد أربعة من زعماء القبائل، ولعل أبرز ما في ذلك، أن القبائل التي وقع عليها الاختيار كانت جميعها من القبائل التي وقفت بجانب بريطانيا في حربها مع المهديّة، وهم ناظر الكبابيش من كردفان، وزعيم الهندندوة من كسلا وناظر الشكرية من النيل الأزرق، وثلاثتهم من قبائل البقارة، والرابع من زعماء الجعليين من بربر.⁽¹³⁾ وفي مارس 1919م لم يطالب الزعيم المصري سعد زغلول بإنهاء الاحتلال من مصر فحسب بل من السودان أيضاً بل أعاد مطالب مصر التاريخية بأن يكون السودان جزء منها. وأدى التربص عليه إلى إثارة جدلية الحركة الوطنية بشمال وادي النيل، كما تسبب في السودان في إثارة مسألة تقرير المصير وواجه المعتدلون المتعاونون مع البريطانيين المطالب بعنف شديد.

على الرغم من أنه كانت هناك حركة مواكبة للمصريين السودانيين اضطرت على مر الزمن إلا أن حكم اللين فيما يتعلق بزعماء الطوائف والقبائل ورجال المال وملوك العقارات، كان صحيحاً على حد كبير، وعكست المقالات الأربعة التي كتبها حسين شريف في جريدة الحضارة في يونيو 1930م سياسة كانت في نظر الإنجليز تمثل العناصر العملية في المجتمع السوداني.⁽¹⁴⁾ وتعتبر مقالات شريف معلماً هاماً من معالم الفكر السياسي للحركة الوطنية، وظل المواليون لبريطانيا ينشرون تلك الآراء والأفكار عن طريق جريدتهم واتصالاتهم الشخصية بالإداريين البريطانيين إلا أن تكتيكهم السياسي لم يتجاوز دائرة مغلقة ضيقة. وكان ذلك بداية لمحمد سبق أن أضحى فيه الإدعاء، بالحق المقدس محل نظر، ولذلك ما لبثوا أن واجهوا النقد من جانب فئة جديدة من السياسيين الذين يتصفوا بالأشخاص والذين اعتنوا بالأفكار السياسية المعاصرة تعبيراً عن حركة شعبية منظمة رافضة للأوضاع السائدة، وكان آخر أولئك من أبناء السودانيين الذين خالطت دمائهم الدماء الزنجية، وكانت هذه الفئة من المثقفين نتاجاً لكلية غردون التي فتحها كتشنر بالخرطوم في سبتمبر 1902م لتدريب السودانيين لحل الوظائف الصغرى الإدارية والأعمال الفنية بدواوين الحكومة. ونظراً لوجود عدد كبير من ضباط الجيش المصري والموظفين المصريين بالسودان وولائهم الطبيعي لمطالب الوطنيين المصريين تجاه السودان، فقد كان المثقفون البريطانيون في العشرينيات قلقين بوجه خاص من جانب سلالات الرقيق

إذا كانت هذه الطبقة خارج سيطرتهم المادية، ومن ثمة أمكن أن تكون ثمة رابطة سياسية هامة بين المصريين في السودان وصفوة المتعلمين السودانيين، أي أنها كانت طبقة لم تمتد إليها أيدي القبضة الحديدية للبريطانيين. وكان مركز إشعاع الوعي السياسي الوطني الحديث ظاهرة في الخرطوم وأم درمان وخاصة في نوادي الخريجين، وكان الخريج يعني أي شخص تخرج من دراسة الكتاب أو المدرسة الأولية. وقد أخذت حركة الخريجين في مرحلتها الباكورة شكل الاهتمام الأيجابي بالتراث الإسلامي، استطاع الشعراء السودانيون تحظر فترة التأثر بالتراث الإسلامي، وأن ينتقلوا إلى مصطلح عقد مقارنات حية بين التراث الإسلامي المعاصر ومقالات النقاد المصريين. ومهما يكن من أمر أيضاً، فإن ما كانت تشبث به ارهاصات الحوادث هو أن الوطنية ما تزال في طور التكوين، وكان نقد حسين شريف الذي نشره بالحضارة مطالباً البريطانيين بوقف تغول المصريين وتأهيل السودانيين للاستقلال، هو الذي أثار الأحاسيس الأولى للشعور القومي الحديث، وفي 20 نوفمبر أرسل أحد الموالين لمصر منشوراً لجميع الأشخاص البارزين بالعاصمة والمدرييات منذراً ومحذراً من سياسة بريطانية «فرق تسد» ومجابهة القبيلة بالقبيلة والزعيم الديني بزعيم ديني آخر، والسوداني بالمصري، طالباً من المعنيين بالعمل على نيل الاستقلال، وفضلاً عن ذلك هاجم الكاتب بجريدة الزعماء الثلاثة إذ وصف الحضارة بأنها بوق واداة في يد الاستعمار، المنشور تياراً للولاء لمصر وسخرية بزعماء الطوائف والأديان. وتصدي حسين شريف نفسه للرد عليه في الحضارة، وذكر بأن السودانيين راضون عن الحكم البريطاني وراغبون عن أي حكم غيره، وأثار ذلك الجدل مراراً للنقاش بين جميع الأوساط في العاصمة، والحق أنه كان ثمة ارهاصات سياسية بذلك من قبل.⁽¹⁵⁾

الرأي العام السوداني:

رأي عام ظاهر في الدول الديمقراطية :

هو تعبير مجموعة من الناس عن اتجاهاتهم وآراءهم بصراحة وذلك مثل الرأي العام السوداني المدين لفض المعتصمين الذين خرجوا ضد نظام عمر البشير في ثورة ديسمبر 2018م، فقد تم فضه بالقوة المفترقة مما أدى إلي جرح وقتل العشرات وفقدان الكثيرين، مما كان له الأثر في تكوين لجان تحقيق من المجلس العسكري قبل الاتفاق مع المدنيين وذلك بضغط من الجمهور.

ب/ ورأي عام باطن أو كامن في الدول التي تفتقد إلى الديمقراطية:

هو الرأي العام غير المعبر عنه، لأن أفراد الجماعة يخشون التعبير عن آراءهم واتجاهاتهم لأنها ضد القانون أو المعايير الاجتماعية المتعارف عليها ولا شك أن المناخ الذي يحدث فيه مناخ كامن يسود فيه الخوف والقمع قد يكون لأوضاع سياسية أو لأسباب اقتصادية (مهما كانت الأسباب التي تحول دون الاعلان عن الرأي فهذا لا يمنع من وجود رأي عام إلا أنه يبقى كامناً حتى تحين الفرصة للتعبير عنه)⁽¹⁶⁾ يرى الباحث من أمثلة الرأي العام الباطن مثل: إعدام نظام الاخوان المسلمين في السودان (28) ضباط من ضباط قوات الشعب المسلحة في ابريل من العام 1990م، وفي ذلك لم يتمكن أسر الضحايا من تأبين أبنائهم، كما لم يتم مقاضاة الجناة قضائياً بسبب الخوف من القتل والقمع وتقييد الحريات.

تصنيف الرأي العام من حيث الوجود:

أ/ رأي عام فعلي: هو الرأي العام الذي أصبح موجوداً نتيجة حدوث أحداث معينة تشغل اهتمام الجمهور، ويترتب على ذلك تكوين رأياً نحو هذه الأحداث في هذه الحالة الرأي العام موجود فعلاً ولا يمكن

قياسه. كما نرى انشغال السودانيون كثيراً بالتضخم، والفساد، وضعف الراتب، وهجرة المهنيين إلى الخارج في عهد حكم عمر البشير، فكان سبب لانتفاضة (Uprising) الشعب عليه مطالبين توفير الخبز والدقيق والوقود والدواء وهيكله الأجور، كل هذا شكل رأي عام موجود فعلاً، وبالفعل أدت هذه الانتفاضة إلى إسقاطه من السلطة.

ب/ رأي عام غير موجود لكنه متوقع : يطلق على الرأي العام المتوقع وجوده حينما تثار قضية ما أو حينما يقع حدث معين، فحينما يحدث هذا الحدث في المستقبل يتكون حوله رأياً وهذا يعني أن الرأي العام ليس موجوداً في الوقت الحالي ولكن من المتوقع نشأته في المستقبل.

3. تصنيف الرأي العام من حيث مدة استمراره:

أ/ رأي عام دائم: هو الرأي الذي يتصف بالثبات والاستمرار لفترة طويلة نسبياً، وهذا الرأي غالباً ما يكون متصلاً اتصالاً وثيقاً بالميراث الثقافي، والرأي العام يظل مستمراً طالما أن الأسباب التي أدت إليه مازالت قائمة. ب/ رأي عام مؤقت : هو الرأي الذي يقوم حول حادثة طارئة لا تستمر فترة طويلة ويزول هذا الرأي بمجرد زوال الأثر الواقع على الأفراد نتيجة هذه الحادثة الطارئة⁽¹⁷⁾

4/ التقسيم حسب النطاق الجغرافي السياسي:

أ/ رأي عام إقليمي: ويشمل الرأي السائد بين مواطني دول متجاورة جغرافياً في القضايا المشتركة بينهم. ب/ رأي عام عالمي: ويشمل الرأي السائد بين مواطني العالم أجمع بالنسبة للقضايا التي تمس مصالح شعوب العالم⁽¹⁸⁾

كما نرى من أمثلة الرأي العام الإقليمي كاهتمام الاتحاد الإفريقي برأي الشعب السوداني المعبر في ثورة ديسمبر 2018م وذلك بتعليق عضوية السودان من الاتحاد الأفريقي، لرفض الجيش تسليم السلطة للمدنيين.

ج/ رأي نوعي: هو الرأي الذي يعبر عن اهتمامات مشتركة ومتشابهة بالنسبة لمجموعة ما إزاء قضية تتعلق بمصالح هذه الفئة.

د/ رأي عام وطني: يقتصر على الوطن أو الدولة المتواجد بها ... كالرأي العام السوداني المناهض للظلم والفساد وتقييد الحريات والانقلاب العسكري.

مظاهر الرأي العام:

نعني بمظاهر الرأي العام أنماط السلوك التي يستخدمها جمهور الرأي العام في التعبير عن وجهات نظرهم واتجاهاتهم حيال القضايا التي تمس مصالحهم حيث يقسمه سعيد سراج إلى قسمين:

أ/المظاهر الإيجابية: وتتمثل في:

1. الثورات: وهي أحد الأساليب العنيفة التي تستعمل للتعبير عن الرأي العام وتندلع حيث يرسخ في ضمير الجماهير أنه لا فائدة من التعبير الكلامي عن مطالبهم (السلطات في واد والشعب في واد آخر) . كالثورات التي أتاحت كل من الفريق إبراهيم عبود في العام 1964م، وثورة 1985 التي أسقطت جعفر نميري، وثورة ديسمبر 2018م التي أسقطت البشير 2019م، فكل هذه الثورات ثبت للشعب السوداني بأن التعبير الكلامي لا أمل فيه فكثرت الحروب والقتل وعم الفساد وسلبت الحريات .

2. الندوات والاجتماعات واللقاءات العامة : وهي إحدى أشكال التجمع الشعبي حيث تحدث لقاءً قريباً بين الجماهير لدراسة مشاكل المجتمع والخروج بحلول تكون مرشداً للقادة : أجهزة الإعلام: هي الوسائل التي يستعملها الأفراد للتعبير عن الرأي العام، الانتخابات: يعبر فيها الجمهور عن رأيه من خلال اختيار الحاكم.

ب/ المظاهر السلبية: وتتمثل في المقاطعة السلبية والاستهتار، الإضراب عن العمل والاعتصام وتعكس هذه الأساليب حالة عدم الرضا السائدة لدى الرأي العام اتجاه السلطة واحتجائه على سياستها كما تعني انعدام الاتصال بين الشعب وقادته وعدم مشاركة الجماهير في اتخاذ القرار السياسي بصورة حقيقية وهذه الأساليب ليست بالأساليب الديمقراطية في التعبير عن الرأي العام لأنها قد تنعكس بالضرر على الشعب في حد ذاته وأن كانت تختلف فيما بينها في قدر الضرر الناجم⁽¹⁹⁾

يرى الباحث إذا اقتضت الضرورة يجوز اللجوء للمظاهر السلبية للرأي العام، كالإضراب عن العمل والاعتصام، كما حصل في اعتصام الثوار السودانيون أمام القيادة العامة للجيش، ولم يلجأوا لذلك إلا بعد رفض عمر البشير من ترك السلطة بعد أن توافرت أسباب تنحيه من الحكم.

الفرع الثالث: وظائف الرأي العام:

وقد حدد الباحثون أربع وظائف أساسية للرأي العام سوف نستعرضها بشكل مجمل. وحيث أن الرأي العام هو غرس ديمقراطي بطبيعته، فهو بمثابة الإرادة التي تحكم المجتمعات الديمقراطية، ويعني هذا أن الرأي العام لا يستطيع أن يؤدي وظائفه إلا في مناخ ديمقراطي، ويستطيع الرأي العام في المجتمعات الديمقراطية أن يأخذ على عاتقه أداء الوظائف التالية:⁽²⁰⁾

دعم القرارات التي تتخذها القيادة وذلك بالمشاركة الفعلية للأغلبية في صناعة القرار أو اعتقاد ذلك. والتحمس في تنفيذه.

اقتراح القوانين أو القرارات السياسية التي تحقق المصلحة العامة واقتراح إلغاء أو استبدال القوانين والقرارات التي لا تحقق المصلحة العامة من وجهة نظر الشعب خاصة والبت بين الآراء المتعارضة فيها بالتصويت على الصياغة النهائية للتشريعات التي تعرض على جمهور الشعب.

المساهمة في مواجهة أخطار الحرب النفسية الذي يوجه إلى الرأي العام المحلي من خارجه أو داخله والذي أصبح أمراً شائعاً في عصرنا الحاضر، ولا يقل خطره عن خطر الأسلحة الفتاكة.

الإسهام في اختيار القيادات ذات الكفاءة للوظائف الرسمية الأساسية في الدولة بالتصويت والتأييد، وفي عزل من ينحرف منهم بالاحتجاج وحسم المنافسات على هذه الوظائف بالتصويت للأكثر شعبية.

مراقبة ما يجري في الساحة السياسية مما له تأثير على أفراد الجمهور، سواء فيما يتعلق بسن الأنظمة الإجرائية أو تنفيذ التشريعات والالتزام بها. والغالب على الفرد والرأي العام أنه يسارع في التعبير في عدم الرضاء والسخط أكثر من ميله إلى التعبير عن حالات الرضاء⁽²¹⁾

نرى أن مراقبة الرأي العام السوداني ما يجري في الساحة السياسية، كان له الأثر في تجريم ختان الإناث، و إلغاء قانون النظام العام المقيد للحريات، واسترداد الأموال المنهوبة من نظام الإنقاذ وأيلولتها لوزارة المالية.

كما ساعد رقابة الرأي العام السوداني من إغمداد الحرب النفسية التي يشعلها أعضاء حزب المؤتمر الوطني عبر وسائل التواصل الاجتماعي بالتشكيك في أداء الحكومة الانتقالية باعتبارها غير قادرة على تحمل أعباء الدولة، وافتعالهم أزمات (Crisis) كاحتكار (الوقود، والدقيق، وغاز الطهي...)، وقد طالب الثوار الحكومة بسن قانون يردع كل من يخول له نفسه العبث بالمواد التموينية والضرورية بحياة المواطن. وقد ساهم في اختيار رئيس الوزراء وحكومته الانتقالية وذلك برفع السير الذاتية على وسائل التواصل الاجتماعي للجمهور بغرض الاطلاع دون أطباع سياسة التعيين السري.

وسائل تأثير رقابة الرأي العام السوداني على السيادة:

سبق ووضحت الدراسة بأن من أهم وسائل التأثير على الرأي العام هي وسائل الإعلام والأحزاب السياسية والثورات الشعبية لذا تناولته الدراسة في ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: وسائل الإعلام:

تطلق الوسيلة في الدراسات الإعلامية على القناة التي تحمل الرسالة إلى الملتقي)، وهي بهذا تشمل الوسائل المادية مثل الصحافة والإذاعة والتلفاز، والمجال الجوي أيضاً وذلك (باعتباره الوسيلة التي تحمل الموجات الصوتية خلال الاتصال الشفهي)⁽²²⁾

عرف الإعلام بأنه: (تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السلمية، والحقائق الثابتة، التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير وميولهم. نجد وسائل الإعلام بالأخص الصحافة لعبت دوراً بارزاً ومهماً في تكوين الرأي العام وتحديد اتجاهاته وتوجيه النقد إلى السلطات العامة وتصرفاتها، وإرشادها إلى طرق الإصلاح التي تتطلبها المصلحة العامة)⁽²³⁾

ظل السودان من خلال الفترات المختلفة للحكم الوطني الذي أعقب الفترة الطويلة التي عشناها في ظل المستعمر البغيض الذي حكم السودان بعد احتلاله بالقوة القهرية بواسطة الحكم الثنائي وسنوات من الحكم التركي فيما يعرف بالتركية اللاحقة، فقد ظلت حرية التعبير Freedom Of Expression حبيسة وممنوعة، سواء أكانت تلك الحرية عبر وسائط الإعلام أو من خلال التنظيمات السياسية (الأحزاب) إلى أن برزت القوى الوطنية عقب قيام مؤتمر الخريجين عام 1938م ثم ظلت تطرق مباشرة وغير مباشرة تناضل لأجل كسر طوق الممانعة لحرية التنظيم والتعبير، وإلى أن تحقق للشعب السوداني الإستقلال 1956م، وأعلن عن دستور مؤقت حمل في ديباجته وأبوابه أمر حرية التعبير كشأن جميع الدساتير في البلدان المستقلة منتصف القرن الماضي.

فقد صدر أول تشريع سوداني عقب الاستقلال عام 1956م في ظل الدولة الديمقراطية الوليدة⁽²⁴⁾، حيث تضمن الدستور في فصله الثاني الحقوق الأساسية في المادة الخامسة على المبادئ التالية:

1. يتمتع جميع الأشخاص بحرية الاعتقاد بالحق في أداء شعائهم الدينية بحرية بشرط ألا يتنافى ذلك مع الآداب أو النظام العام أو الصحة كما يقتضيها القانون.
- لجميع الأشخاص الحق في حرية التعبير عن آراءهم والحق في تأليف الجمعيات والاتحادات في حدود القانون.⁽²⁵⁾

ومن خلال السرد سالف ذكره أرى بالرغم من الجهد التي بذلتها الحكومات الانتقالية الثلاث ونصها للحريات العامة، إلا أن العسكر ينقلبوا على السلطة المدنية، ولم يطبقوا تلك الحقوق الحريات العامة صدد الدراسة، ويؤكد ما ذهبنا إليه قول على عثمان محمد طه⁽²⁶⁾ حيث قال: (...نحن أي قانون ما بلبي طموحات الاخوان ما نطبقه ونتحايل عليه في البرلمان ونلتف حوله بالطوارئ... ونخرجه بتصرفاتنا...)⁽²⁷⁾ والجدير بالذكر أن السودان نال استقلاله 1956م وحتى العام 10/إبريل/2019م مر عليه (63) عام منه (52) سنة حكم بانقلاب عسكري منها: (6 سنوات الفريق / ابراهيم عبود)، و(16 سنة/المشير جعفر محمد نميري)، و(30 سنة المشير/عمر احمد حسن البشير)، و(سنة واحدة المشير/عبد الرحمن سوار الذهب) الوحيد في الحكم العسكري أعلن انحيازه للشعب وسلمها لحكومة مدنية منتخبة. مقابل (10) سنة حكم مدني غير متصل، وبالتالي لم يجد السودان حظه من الاستقرار السياسي لكي يتم تطبيق القوانين المتعلقة بحريات التعبير. فكان من الطبيعي في ظل 52 عام يخضع الصحافة لرقابة قبلية، وتعتبر من أهم الأسباب المحركة للرأي العام السوداني.

أما الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية لسنة 2019م تعديل 2020م، نص على حرية التعبير والإعلام في المادة (57) بأنه:

لكل مواطن حق لا يُقيد في حرية التعبير وتلقي ونشر المعلومات والمطبوعات والوصول إلى الصحافة، دون المساس بالنظام والسلامة والأخلاق العامة وفقاً لما يحدده القانون،
لكل مواطن حق الوصول للأنترنت دون المساس بالنظام والسلامة والأخلاق العامة وفقاً لما يحدده القانون،

تكفل الدولة حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى لما ينظمه القانون في مجتمع ديمقراطي تعددي،
تلتزم كافة وسائل الإعلام بأخلاق المهنة وبعدم إثارة الكراهية الدينية أو العرقية أو العنصرية أو الثقافية أو الدعوة للعنف أو الحرب)⁽²⁸⁾

نخلص من ذلك إلى القول بأن الجهات المختصة في السودان طبقت ما نص عليه المادة التي نحن بصدددها، حيث جاء في الفقرة الأولى بعدم تقيد حرية التعبير لكل مواطن، فقد ساعد ذلك بعوده السودان للمحفل الدولي وفوزها بمقعد حقوق الإنسان بجنيف، وأتاحت الفقرة الثانية حرية التعبير عبر الأنترنت أي التعبير عبر وسائل التواصل الاجتماعي (كواتساب، فيس بوك، تويتر...) وذلك دون المساس بالنظام والسلامة والأخلاق العامة وفقاً للقانون، كما ساهم تطبيق الفقرة الرابعة من المادة موضوع الدراسة رفع اسم السودان من القائمة السوداء المقيدة للأديان بأمريكا توطئة لرفع اسمها من قائمة الدول الراحية للإرهاب.

والجدير بالذكر أرى أن رقابة الرأي العام السوداني خاصة في ثورة ديسمبر 2018م كان له الأثر الكبير في تحقيق ما تقدم ذكره. والإسلام حافل بالعديد من المواقف والأحداث التي تؤكد اهتمامه بالأعلام بمعناه الحديث (الدعوة الإسلامية) ويؤكد ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)⁽²⁹⁾ ويؤكد ذلك قوله تعالى: (فَإِذَا عَلَيكَ الْبُلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) وما إلى ذلك من الآيات القرآنية العظيمة التي أوجبت الدعوة وحشت على الأعلام والتبشير والإبلاغ... ولكن هذه المهمة تمتد لتشمل المسلمين جميعاً، ذلك أن الله قد كلف كل مسلم عاقل فالإسلام إذن هو موضوع الدعوة فان النظام الإعلامي في الإسلام يقوم على

مقابلة الباطل الذي تنطوي عليه النظم الأخرى قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا).

أما وسائل الإعلام الإسلامي: فهي عديدة ومتنوعة وقد لعبت ولا تزال تلعب دوراً مهماً في نشر الدين الإسلامي، فهناك الوسائل التقليدية التي كانت سائدة قبل التبشير كالفصائد الشعرية، والخطابة والأسواق حيث اهتم بها الإسلام وعمل على تطويرها بشكل بالغ، وهناك أيضاً الوسائل الإعلامية الخاصة بالإسلام وهي وسائل يكاد ينفرد بها مثل خطبة الجمعة، دروس الوعظ والإرشاد، والأذان وإقامة الصلاة والمكتبة الإسلامية ووسائل الاتصال الشخصي الإسلامي .

الجدير بمكان نجد أن الثورات السودانية بالأخص ثورة ديسمبر 2018م فقد استخدمت الخطابة في الأسواق مستهدفاً فساد وظلم حكم الاخوان، وأشعار حماسية وثورية كرسالة للأمة بتقويم الحاكم، وخطب في صلاة الجمعة بحجم المنكر والظلم وواجب إزالته، فقد كانت وسائل هادفة فأجمع الأمة السودانية في كلمة واحدة هي إسقاط الظالمين .

علاقة الرأي العام بالأعلام الإسلامي:

الرأي العام هو المجال الذي يعمل في نطاقه أي عمل أعلامي، وقد اهتمت الرسالة الإسلامية بجماهير الرأي العام اهتماماً كبيراً، كما حفل القرآن الكريم في كثير من آياته بالرأي العام.... حيث جعل حكم الرأي العام على المؤمن شريكاً لحكم الله ورسوله في تقديم أعمال المسؤولين ومحاسبتهم وقد نهج الرسول الكريم هذا المنهج فكان يرجع عن خطئه إذا وجد رأيهم صواباً⁽³⁰⁾.

نرى أن العلاقة هي التعبير بإزالة المنكر والفساد والآمر بالمعروف، وممارسة الشورى في اختيار الحكام.

الثورات الشعبية في السودان 1953- 1989م:

عرف المعجم الوسيط "الثورة" بأنها: (تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما⁽³¹⁾) وعرف أيضاً بمعجم القانون الثورة (Revolution بأنه: (تغيير جذري لا يقتصر على نظام الحكم أو الحائزين للسلطة بل يشمل كافة مجالات الحياة في المجتمع)⁽³²⁾ . مثل الثورات السودانية في 17/فبراير 1969م، وثورة أبريل 1985م ، وثورة 19/ديسمبر 2018م.⁽³³⁾

كما جاء في موسوعة السياسة أن معظم المفكرين المعاصرين يستخدمون اصطلاح "الثورة" للدلالة على: (1) تغييرات فجائية وجذرية، تتم في الظروف الاجتماعية والسياسية، أي عندما يتم تغيير حكم قائم والنظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بصورة فجائية وأحياناً عنيفة بحكم آخر.(2) تغييرات ذات طابع جذري (راديكالي) غير سياسي، حتى وإن تمت هذه التغيرات ببطء ودون عنف (كما هو الحال عندما نقول ثورة علمية، ثورة فنية، ثورة ثقافية، فإن هذه التغييرات المعاصرة تستخدم لوصف تغييرات شاملة في مجالات متعددة من الحياة). وتتعد الأسباب التي تؤدي إلى قيام الثورات، وإن كانت ترجع جميعها إلى شعور الأفراد بالظلم، وبأن الأوضاع السائدة في الدولة لم تعد تتلائم مع ما طرأ على المجتمع من أفكار جديدة. وعلى ذلك فلا يمكن أن ترجع كل الثورات إلى سبب محدد، فأسباب الثورات متعددة وتختلف باختلاف المجتمعات، فتارة لسبب عقائدي (ديني)، وتارة تقوم لسبب اجتماعي، وأحياناً أخرى يكون سبب الثورة سياسياً أو اقتصادياً⁽³⁴⁾

إن ظاهرة الحكم العسكري هي إحدى الهموم الإنسانية وقد اتسعت دائرة، ممارستها في العالم الثالث مما أدى إلى إرهاب شعوب ذلك العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأفقد بهذه الشعوب من أن تنال القدرة المناسب من التقدم السياسي والاجتماعي لأن هذا النوع من نظم الحكم يتسم بسمتين أساسيتين:

الأولى: رفع الشعارات الديمقراطية وإفراغها من مضمونها الحقيقي في الفعل والممارسة.

والسمة الثانية: هي الحجب على الرأي الآخر بأداء دورها الأساس في حياة الإنسان وتطور الشعوب. على هذا النسق حكمت العسكرية السودان في ثلاثة عهود: وكان العهد الأول انقلاب السابع عشر نوفمبر 1958م والذي استمر حتى الثلاثين من أكتوبر 1964م بقيادة الفريق إبراهيم عبود، وجاء العهد الثاني إثر انقلاب العسكري في الخامس والعشرين من مايو 1969م واستمر حتى الخامس من إبريل 1985م بقيادة جعفر محمد نميري، ووقع الانقلاب الثالث في الثلاثين من يوليو 1989م⁽³⁵⁾، استمر حتى العاشر من إبريل 2019م بقيادة المشير عمر حسن أحمد البشير.

هذا واتفقت الانقلابات العسكرية ... في أمرين أساسين: أولهما عدم منح الديمقراطية الوليدة في السودان فرصة الثبات والرسوخ حيث أن الديمقراطيات الثلاث لم تستطع أي منهما إكمال عمرها الدستوري الذي قرره الشعب وبهذا حدثت هذه الانقلابات ضد التفويض الشعبي والدستوري الممنوح للديمقراطيات الثلاث. أما الأمر الأساسي الثاني: هو أن هذه التدخلات العسكرية أنت كلها عقب جمعيات تأسيسية لوضع دستور وبذلك لم يستطع تلك الجمعيات التأسيسية من أداء مهمتها الأساسية وهي وضع الدستور . مما تقدم سرده نرى أن السودان مر بأربع ثورات شعبية (Popular Uprising Or Intifada) وحكمها حكومات انتقالية ابتداءً 2018-1953م وهي على النحو الآتي:

الحكم الانتقالي الأول:

إن نظام الحكم في هذا العصر استند على دستور الحكم الذاتي القائم على قانون الحكم الذاتي والاتفاقية الإنجليزية المصرية 1953م المقررة لتحقيق المصير السوداني... والمهمة الرئيسية لهذا الدستور هي نقل السيادة على السودان من دولتي الحكم الثنائي للشعب السوداني وقد ارتكز نقل السيادة للشعب السوداني على نصين أساسيين في تلك الاتفاقية وهما المادة الثانية عشر والمادة السابعة...أما المادة (12) فتقرر قيام جمعية تأسيسية تقرر مصير السودان كوحدة لا تتجزأ وتقرر إما الاتحاد مع مصر أو الاستقلال وتضع الدستور على نتائج ذلك وتشترع قانوناً لانتخاب برلمان سوداني وموجب المادة (7) تشكلت لجنة انتخابات وبدأت مباشرة مهامها وأعمالها في أبريل 1954م وأجريت الانتخابات في نوفمبر من نفس العام وقد تنافس في هذه الانتخابات كل من الحزب الوطني الاتحادي وحزب الأمة، وقد حصل الأول على أغلبية مقاعد البرلمان وفي تقرير نتائج هذه الانتخابات قال: هنري رياض "وكانت النتيجة أن فاز الحزب الوطني الاتحادي بأغلبية أعضاء كل من مجلس النواب والشيوخ فلقد حصل على (51) مقعداً من مقاعد مجلس النواب من جملة (97) مقعداً كما حصل على (22) مقعداً في مجلس الشيوخ من جملة ثلاثين مقعداً وبمقتضى ذلك انعقد البرلمان في يناير وتم انتخاب السيد/اسماعيل الأزهرى رئيس حزب الأغلبية رئيساً للوزراء...وفي 29/ أغسطس 1955م قرر البرلمان تقرير المصير عن طريق الاستفتاء الشعبي المباشر ووافقت دولتا الحكم الثنائي على ذلك في هذه الأثناء تعالت الأصوات بالمطالبة بالاستقلال في شكل شبه جماعي مما دفع بالبرلمان لإعلان

الاستقلال من داخله في التاسع عشر من ديسمبر 1955م⁽³⁶⁾ وبعد الإعلان عقدت جلسة مشتركة بين مجلس الشيوخ والنواب وتم اختيار لجنة خماسية أجازت ألوان علم السودان وهم احمد محمد صالح، احمد محمد، الدرديري محمد عثمان، الفتاح المغربي، وآخر، وتم اختياره بألوانه الثلاثة الأزرق رمزاً للنيل في أعلى العلم والأصفر رمزاً للصحراء في الوسط، ثم الأخضر رمزاً للزراعة في الأسفل، ونتيجة لذلك اعترفت دولتنا الحكم الثنائي باستقلال السودان في الأول من يناير 1956م⁽³⁷⁾ بدأت الديمقراطية الأولى وقد أُلِف الأزهرى وزارة ائتلافية بعد وزارته الأولى واستمرت هذه الحكومة الائتلافية من فبراير 1956م حتى يونيو 1956م ولقد بدأت تظهر الخلافات بين الأحزاب السياسية بعد إسقاط حكومة الأزهرى.... ولم يحرز أي حزب من الأحزاب الأغلبية المطلقة التي تمكنه من تشكيل حكومة منفرداً فشكّلت حكومة ائتلافية فجاءت وزارة عبدالله خليل يقودها حزب الأمة واستمرت حتى انقلاب الفريق عبود في نوفمبر 1958م⁽³⁸⁾.

الحكم الانتقالي الثاني :

عندما أتى الفريق عبود إلى السلطة في 17/نوفمبر 1958م أوقف العمل بدستور 1956م المؤقت وآلت السلطة الدستورية في البلاد وتركزت في المجلس الأعلى للقوات المسلحة والذي انفرد بها حتى قيام المجلس المركزي الذي أريد له أن يشارك في السلطة التشريعية. ومما يجدر ذكره أن أعضاء المجلس المركزي كانوا ينتخبون عن طريق مجالس المديريات التي تستمد بدورها عضويتها من المجالس المحلية، ولما لم تكن المجالس المحلية ومجالس المديريات ممثلة لإرادات الشعب أو معبره عنها، إذا طغي نفوذ رجال المال والأعمال والمهنة الحرة عليها... فقد ترتب على ذلك أن المجلس المركزي قد قام على أساس غير شعبي في الواقع⁽³⁹⁾

نرى أن انقلاب عبود على السلطة بالقوة العسكرية، وإلغاء العمل بالدستور المؤقت 1956م، وعدم انتخاب مجالس المديريات في السودان فقد وجد الثوار فرصة سانحة بأن حكومتهم تمثل إرادة الشعب.

مما ذكر فقد كان السبب ببداية عهد الحكومة الانتقالية الثانية بانفجار ثورة أكتوبر في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر 1964م تلك الثورة الشعبية العاتية التي أطاحت بالدكتاتورية العسكرية الأولى في ظرف عشرة أيام من البرلمان الشعبي على طول الساحة السودانية... وتأسس عهد الحكومة الانتقالية الثاني في إطار الميثاق الوطني الذي أعلنه الثوار عقب انهيار النظام العسكري ودستور السودان المعدل المؤقت 1964م وهو دستور السودان المؤقت 1956م مع التعديلات التي اقتضاها عدم وجود برلمان ومؤسسة رأس الدولة . وفي الفاتح من نوفمبر 1964م كون الثوار حكومة انتقالية من القوى التي قادت الإضراب السياسي الذي أطاح بالنظام العسكري وهي القوى المهنية والفئوية العاملة مع تمثيل اسم للأحزاب. ثم إعادة تكوين الحكومة الانتقالية بعد ذلك في 24/2/1965م بحكومة حزبية من كافة الأحزاب السياسية إلا أن الحزب الشيوعي وحزب الشعب الديمقراطي عارضا هذا التكوين ورفض الاشتراك في الحكومة بحجة عدم تمثيل القوى الحديثة التي قادت الإضراب السياسي لا سيما العمال والمزارعين. ولعدم وجود برلمان أصبح مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية والتنفيذية الذي تولى الإدارة السياسية للبلاد واختص بالتشريع وسن القوانين واختيار رأس الدولة الذي يتكون من خمسة أعضاء وهو عود إلى ما كان عليه الأمر منذ إعلان

الاستقلال وحتى الانقلاب عليه 17/نوفمبر/1958م...وقد قامت الحكومة الانتقالية الثانية بالمهام التي أناطها بها الشعب والتي قررها الميثاق الوطني.... حيث حررت الأجهزة والمؤسسات الإدارية والأمنية من الإداريين والعسكريين وثاني تلك هي اطلاق الحريات العامة وتأكيد حقوق الإنسان وتقررت حرية تكوين الأحزاب والنقابات وحرية الصحافة والرأي والتعبير والمهمة ورفع حالة الطوارئ وإلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات ومقتضي ألغت الحكومة حالة الطوارئ وقانون دفاع السودان 1958م وقانون الإجراءات الجنائية كالمادة (5) من قانون العقوبات الأسبق والمواد الخاصة بالاعتقال التحفظي.. ضمان استقلال جامعة الخرطوم التي كانت مصدر خلق سياسي للحكم العسكري من حيث النشاط الطلابي المتصل في سبيل إعادة الحياة الديمقراطية... وعلاوة على ذلك تضمن الخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء سر الختم الخليفة بتاريخ 30/10/1964م تأكيداً على أن حكومته وضع انتقالي مؤقت يكون الحكم فيه وفقاً لأحكام دستور السودان المؤقت 1956م وإن التكليف الجوهري والأساسي لهذه الحكومة هو قيام جمعية تأسيسية يقع على عاتقها وضع الدستور من خلال إجراء انتخابات حرة عامة تحت إشراف لجنة انتخابات مستقلة... أما فيما يتعلق بتنفيذ مهمة التحول للعهد الديمقراطي الثاني فقد أصدرت الحكومة الانتقالية بتاريخ الرابع عشر من فبراير 1965م قانون انتخابات الجمعية التأسيسية 1965م وبموجب هذا القانون انتخاب أعضاء الجمعية التأسيسية في مطلع يونيو 1965م وبذلك انتهى تفويض الحكومة الانتقالية الثانية حيث تقوم الجمعية التأسيسية بانتخاب حكومة جديدة الأمر الذي أدى رئيس الوزراء سر الختم الخليفة لتقديم استقالته وفقاً لنصوص الميثاق الوطني ودستور السودان المعدل المؤقت 1964م وطى عهد انتقالي مؤقت تحقق عقب ثورة شعبية مجيدة تم اتفاق بين الأحزاب المؤتلفين في 7/ مايو 1969م وصدر بيان في نفس اليوم ...من بنوده أن تقدم مسودة الدستور للجمعية التأسيسية في شهر يوليو 1969م كي تتمكن الجمعية التأسيسية من إجازته في وقت أقصاه آخر ديسمبر 1969م... وقبل أن يحين شهر يوليو موعد تقديم مشروع الدستور للجمعية التأسيسية، هبت ثورة 25 مايو 1969م بقيادة جعفر نميري وحل الجمعية التأسيسية.⁽⁴⁰⁾

الحكم الانتقالي الثالث:

بدأ العهد الانتقالي الثالث بعد الانهيار الكامل للحكم العسكري الثاني أثر ثورة رجب أبريل 1985م تلك الثورة الشعبية العاصفة التي قصمت ظهر النظام العسكري الغاشم في السادس من إبريل 1985م... إن ثورة إبريل 1985م ثورة شعبية مائة في المائة تصدت للنظام العسكري بقيادة التجمع النقابي المكون من نقابة المحامين ونقابة الأطباء ونقابة المهندسين ونقابة التأمينات الاجتماعية واتحاد طلاب جامعة الخرطوم وكانت نواته عند اضراب القضاة في يونيو 1983م والذي ظل يعمل في سرية تامة وعزيمة وتصميم حتى مساء الحادي والثلاثين من مارس 1985م، الثامن من رجب (1405هـ) حيث أعلن هذا التجمع بدار نقابة المحامين الإضراب السياسي على أساس أن ينفذ الإضراب السياسي الشامل في موكب جماهيري في الأربعاء الثالث من إبريل 1985م وبالتصميم والافتدار الشعبي والجماهيري بمشيئة الله تعالى عم الإضراب السياسي الشامل الساحة السودانية جمعاء على مستوى مائة في المائة فأعلنت القوات المسلحة والأمنية التحاقها مع قوى الشعب وانتصرت الثورة.

إن انتصار الثورة كانت نتيجة ملحمة شعبية مهرتها التضحيات الجسام ففي السادس والعشرون من مارس 1985م قادت جموع طلاب الجامعة الإسلامية بأمدرمان الجماهير في تظاهرات عاصفة وعاتية حرقت فيها مقر جمعية ود نميري ايذاناً بإشعال ثورة الشعب ضد النظام العسكري ... وضمن تعالى وتيرة ثورة الشعب أصدر معهد الكليات التكنولوجية بالخرطوم (حالياً جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا) بياناً يدين النظام العسكري ويدعو للانقضاء عليه وتصدر طلاب الكليات التكنولوجية في 27/مارس/تظاهرات شعبية كاسحة في الخرطوم منعت موكب رئيس النظام من الذهاب إلى المطار بالطريق المرسوم لذهابه في رحلة للولايات المتحدة الأمريكية... وقد غادر الخرطوم ولهيب الثورة يهدر ويتسع ... على إثر ذلك أصدرت الحركة السرية لتجمع الشرطة منشوراً في 27/3/1985م أعلنوا فيه إرادتهم على العصيان وعدم استعمال القوة ضد الشعب وأبدى التجمع توجهه لإسقاط النظام تضامناً مع حركة الثورة الشعبية... في يوم الخميس 28/3/1985م قررت الجمعية العمومية للهيئة النقابية لأطباء الخرطوم الإضراب ضد سلطة للقهر والجوع و من أجل الانتصار لثورة الشعب ... وفي هذه الأثناء امتلأت بالمناضلين والكادحين الساحات والشوارع وخاضت بالثائرين المزارع والمصانع وانتصرت الثورة على نظام القهر والجوع ونظام التبعية في صبيحة السادس من ابريل 1985م أيدت القوات المسلحة والقوات النظامية ثورة الشعب... إن نظام الحكم الانتقالي كان مفترضاً على أن يقوم على الأسس والمبادئ التي وردت في الميثاق الوطني لتجمع القوى الوطنية لإنقاذ الوطن الذي وقع من قبل القوى النقابية والمهنية والأحزاب في صبيحة السادس من أبريل 1985م وهو يؤسس النظام على دستور السودان المؤقت 1956م المعدل 1964م وهذا الدستور يقضي بقيام رأس دولة من خمسة أعضاء ومجلس وزراء من خمسة عشر وزيراً ويرعي هذا الدستور حقوق الإنسان واستقلال القضاء وكفالة الحريات الأساسية في التنظيم والتعبير والعقيدة والعمل والتنقل والتحرر من التبعية الاقتصادية وتحقيق الكفالة والعدل ودعم السيادة الوطنية وحل مشكلة الجنوب حلاً سياسياً وديمقراطياً وذلك في ظل نظام ديمقراطي قومي لفترة ثلاثة سنوات... وفي أثناء تداول التجمع الوطني لتشكيل مجلس الوزراء ومجلس رأس الدولة تدخلت القيادة العامة للقوات المسلحة في الأمر وقامت بتشكيل مجلس لرأس الدولة من خمسة عشر عضواً من قيادات الجيش برئاسة المشير عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب سمي المجلس العسكري الانتقالي وكان ذلك بتاريخ التاسع من ابريل 1985م... هذا وقد أوكل لهذا المجلس صلاحيات ممارسة أعمال السيادة والسلطة التشريعية في الفترة الانتقالية... كما تم تشكيل مجلس الوزراء الوطني من خمسة عشر وزيراً بواسطة التجمع بتاريخ 23/4/1985م واتفق بأن نصوص المجلس العسكري الانتقالي التشريعي لمجلس الوزراء الذي كانت من صلاحياته الأصلية بموجب دستور السودان المؤقت 1956م المعدل 1964م ... واستمر نظام الحكم الانتقالي بموجب قرارات سيادية من المجلس العسكري الانتقالي وبموجب قرارات تشريعية وتنفيذية من مجلس الوزراء برئاسة الدكتور الجزولي دفع الله حتى صدور الدستور الانتقالي 1985م وسرى العمل به حتى انتهاء الفترة الانتقالية والتي انتهت في السادس والعشرين من شهر ابريل 1985م وذلك بقيام الجمعية التأسيسية التي أرخت للديمقراطية الثالثة⁽⁴¹⁾ أعلن الفريق عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب فترة انتقالية لمدة عام تكون في نهايتها انتخابات...

نجحت الحكومة الانتقالية نجاحاً باهراً في نقل السلطة إلى الشعب ممثلاً في أحزابه عبر انتخابات عامة في العام 1986م وبدأت بالتالي حقبة جديدة من تاريخ الديمقراطية في السودان⁽⁴²⁾ إذا نظرنا للحكومات الوطنية سالف الذكر في العهود الثلاثة، نجد أن هذه الحكومات تزعمها حزبان كبيران هما الحزب الاتحادي الديمقراطي، وحزب الأمة مع بعض الأحزاب الأخرى كالحزب الشيوعي. لقد انتشر الفساد السياسي في هذه الحقب المتعاقبة لعدة أسباب، منها فساد الزعماء الذين حاولوا استقطاب من يميل إليهم طائفاً أو حزبياً، وغيرها من الأسباب فظهر في هذه الحقب فساد التشريع والقضاء، وفساد الأحزاب والحكام الذين استولوا على الحكم، فأصبحت الوظائف القيادية على الانتخابات الحزبية والطائفية، ومن يتبع للحاكم له مصالح شخصية، ومصالح حزبية، دون النظر إلى المؤهل العلمي، أو الكفاءة⁽⁴³⁾. لهذا نرى فقد ثبت ضعف الأحزاب في ممارسة السلطة لمصالحها الشخصية والحزبية، مما أتاح فرصة للمؤسسة العسكرية بالانقلاب عليها خلال العهود الثلاث. ومن جانب آخر نرى أن الرأي العام السوداني ساهم في مايو 1985م عبر التجمع النقابي والسياسي لتنظيم موكب إضراب سياسي شامل لإسقاط حكومة مايو 1969م وبإرادة شعبية انتفضت الخرطوم، وأعلنت الجيش انحيازها للشعب فانتصرت ثورة مايو 1985م.

نخلص من ذلك بأن المراحل الانتقالية لم تكمل فترتها بسبب الانقلابات العسكرية قبل تقديم دستور دائم للسودان.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني في تناول موضوع الدراسة رقابة الرأي العام السوداني وأثره على السيادة دراسة مقارنة، وذلك بعد عرض الإطار المفاهيمي لها ومناقشة أحكامها، فقد أثبتت الدراسة بأن الرأي العام هو صاحب السيادة المطلقة وذلك لإسهام السودانيون في ثوراتهم بتكوين رأي عام. فقد أجاب الورقة البحثية عن أسئلة الدراسة. وعالج مشكلتها المتمثلة، في تقييد الحقوق والحريات العامة لدواعي تقويض الدستور. وتوصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات وذلك على النحو الآتي:

النتائج: من خلال موضوع البحث توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

- الرأي العام يسود في البلاد التي حظيت بالديمقراطية.
- يقرر الإسلام بأن الرأي العام هو صاحب السيادة في الدولة.
- الشعب رقيب على السلطة ولهم الحق ف مطابقة أعمال الإداريين بالقوانين واللوائح المنظمة لها.
- يعبر الإسلام عن الرأي العام بالشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- فضالات الثوار السودانيون في ثوراتهم تمثل رأياً عاماً مؤثراً على السيادة في اتخاذ القرار والانحياز للشعب.
- كما ساهم الرأي العام السوداني في السياسة الخارجية برفع اسم السودان من القائمة السوداء المقيدة للاديان بأمريكا، وفوزها بمقعد حقوق الإنسان لدى الأمم المتحدة بجنيف، بتطبيقها للحقوق والحريات العامة.

- دواعي حراك السودانين للثورات هي الانقلابات العسكرية، وتقييد حرية التعبير.
- وسائل تعبير الرأي العام هي الثورات الشعبية، والأعلام، والأحزاب السياسية.
- إذا اقتضت الضرورة يلجأ الثوار للمظاهر السلبية للرأي العام كالإضراب عن العمل والاعتصام.
- التعبير في ثورة ديسمبر 2018م شاملة عم كل مدن السودان، بدأت في الولايات 13/ ديسمبر 2018م ثم إلى الخرطوم 19/ ديسمبر 2018م.

التوصيات: من خلال النتائج يوصى الباحث بالآتي:

- يجب اشراك الشعب في الرقابة الفعلية لإدارة شؤون الدولة وبذلك تتحقق سيادة الشعب فعلاً لا حكماً.
- على السودانيون الضغط على الحكومات المتعاقبة بالرأي لتطبيق الديمقراطية.
- التزام العسكر بتسليم السلطة للمدنيين عند إعلان انحيائها في أي ثورة.
- يجب على حكومة القادمة الإسراع بتقديم مشروع دستور السودان.
- على الحكومة الأمريكية والأمم المتحدة الإسراع برفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب والحصار الاقتصادي لزوال السبب بتطبيق الحقوق والحريات العامة وسقوط حكومة الاخوان.
- على الشعب السوداني المشاركة لإسقاط أي عسكري أو مدني مستبد.
- عدم لجوء الثوار للمظاهر السلبية للرأي العام كالإضراب والاعتصام، إلا في حالة الضرورة التي تفرضها الحال.

الهوامش:

- (1) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، نشرة: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، الطبعة الثالثة: حزيران/يونيو 2013م، ص 20-91.
- (2) د. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر وادي النيل ومصر والسودان، المكتبة الإسلامية، ط، 1990، ص 169 .
- (3) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 20-21.
- (4) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 21-22.
- (5) الخديوي إسماعيل هو خامس حكام مصر من الأسرة العلوية تولى العرش في العام (1863م) إلى أن خلعه عن العرش السلطان العثماني في العام 1879م.
- (6) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 24-25.
- (7) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 25-27.
- (8) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 27-28.
- (9) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 28-31.
- (10) موسى عبد الله حامد، استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية، نشر وتوزيع الخرطوم السودان، ط الثانية، تاريخ النشر 2008م، الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع، الإدارة/ شارع الجامعة - الخرطوم، ص 57-59، جمع وتنسيق ومضة محمد حسن..
- (11) موسى عبد الله حامد، المصدر السابق، ص 59-60.
- (12) جعفر محمد محمد علي بخيت، اسم المرجع الإدارية البريطانية والحركة الوطنية في السودان نشر وتوزيع، دار الثقافة، بيروت، مكتبة خليفة عطية السجانة، الخرطوم، ط الثانية، فبراير 1972م، ص 37-39.
- (13) جعفر محمد محمد علي بخيت، المصدر السابق، ص 39-41.
- (14) شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني: إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام، دار الفكر - بيروت - لبنان، ط 2008م
- (15) مختار التهامي و أ.د.عاطف عدلي العبد: الرأي العام، مركز بحوث الرأي العام- القاهرة- مصر، ط 2005م
- (16) محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث- القاهرة- مصر، ط السابعة.
- (17) نعمان احمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط 1999م، ص 34.

- (18) محمد ابوزيد محمد: الوجيز في النظم السياسية، دار أبو المجد للطباعة بالهرم- مصر، ط: 2006م، ص: 47.
- (19) سامي جمال الدين: الرقابة على اعمال الإدارة منشأة المعارف الأسكندرية- مصر، ط الأولى 1982م ، ص 205
- (20) محمد ابوزيد محمد: الوجيز في النظم السياسية، دار أبو المجد للطباعة بالهرم- مصر، ط: 2006م، ص: 47.
- (21) محمد ابوزيد محمد: الوجيز في النظم السياسية، دار أبو المجد للطباعة بالهرم- مصر، ط: 2006م، ص: 47.
- (22) محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث- القاهرة- مصر، ط السابعة، ص 220.
- (23) نعمان احمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط 1 1999م ، ص 37، 38
- (24) المصدر السابق، ص 38.
- (25) عبدالمجيد حمادي العيساوي: السلطة التأسيسية في القانون الدستوري الوضعي والفقه الدستوري الإسلامي "دراسة مقارنة"، دار الفكر العربي- القاهرة، ط 2015-1م، ص 212.
- (26) سامي جمال الدين: الرقابة على اعمال الإدارة، منشأة المعارف الأسكندرية- مصر، ط الأولى 1982م ، ص 202
- (27) سعيد اسماعيل صيني: مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ط (بدون تاريخ الطبع)، ص 9.
- (28) سامي جمال الدين: الرقابة على اعمال الإدارة، منشأة المعارف الأسكندرية- مصر، ط الأولى 1982م ، ص 202.
- (29) سورة ص الآية (26).
- (30) عبدالله قادري الأهدل: المسؤولية في الإسلام كلکم راع ومستول عن رعيتہ، المدينة المنورة- السعودية، ط 1992-3م.
- (31) مصدر سابق.
- (32) مصدر سابق.
- (33) ميثم حسين حمزة: دور الرأي العام في النظام السياسي الإسلامي، مجلة اهل البيت عليهم السلام، جامعة أهل البيت- العراق، العدد 8 2009م
- (34) جعفر محمد محمد علي بخيت، المصدر السابق، ص 39
- (35) المصدر السابق
- (36) جعفر محمد محمد علي بخيت، المصدر السابق، ص 39-41.
- (37) جعفر محمد محمد علي بخيت، المصدر السابق، ص 39-41.

- (38) المصدر السابق.
- (39) المصدر السابق
- (40) موسى عبد الله حامد، استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية، نشر وتوزيع الخرطوم السودان، ط الثانية، تاريخ النشر 2008م، الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع، الإدارة/ شارع الجامعة - الخرطوم، ص 57-59.
- (41) موسى عبد الله حامد، المصدر السابق، ص 59-60.
- (42) موسى عبد الله حامد، المصدر السابق، ص 59-60.
- (43) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، مصدر سابق، ص 28-31..

المصادر والمراجع:

- (1) جعفر محمد محمد علي بخيت، اسم المرجع الإدارية البريطانية والحركة الوطنية في السودان نشر وتوزيع، دار الثقافة، بيروت، مكتبة خليفة عطية السجانة، الخرطوم، ط الثانية، فبراير 1972م.
- (2) الخديوي إسماعيل هو خامس حكام مصر من الأسرة العلوية تولى العرش في العام (1863م) إلى أن خلعه عن العرش السلطان العثماني في العام 1879م.
- (3) سامي جمال الدين: الرقابة على اعمال الإدارة منشاة المعارف الاسكندرية- مصر، ط الأولى 1982م
- (4) سعيد اسماعيل صيني: مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ط (بدون تاريخ الطبع).
- (5) شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني: إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام، دار الفكر - بيروت- لبنان، ط 2008م
- (6) عبدالله قادري الأهدل: المسئولية في الإسلام كلکم راع ومستؤل عن رعيته، المدينة المنورة- السعودية، ط 1992-3م.
- (7) عبدالمجيد حمادي العيساوي: السلطة التأسيسية في القانون الدستوري الوضعي والفقه الدستوري الإسلامي "دراسة مقارنة"، دار الفكر العربي-القاهرة، ط 2015-1م.
- (8) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري - البريطاني بشأن السودان (1936 - 1953م)، نشرة: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، الطبعة الثالثة: حزيران/يونيو 2013م.
- (9) محمد ابوزيد محمد: الوجيز في النظم السياسية، دار أبو المجد للطباعة بالهرم- مصر، ط: 2006م.
- (10) محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث- القاهرة- مصر، ط السابعة.
- (11) محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث- القاهرة- مصر، ط السابعة.
- (12) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر وادي النيل ومصر والسودان، المكتبة الإسلامية، ط، 1990.
- (13) مختار التهامي وأ.د. عاطف عدلي العبد: الرأي العام، مركز بحوث الرأي العام- القاهرة- مصر، ط 2005م
- (14) موسى عبد الله حامد، استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية، نشر وتوزيع الخرطوم السودان، ط الثانية، تاريخ النشر 2008م، الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع، الإدارة/ شارع الجامعة - الخرطوم.

- (15) موسى عبد الله حامد، استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية، نشر وتوزيع الخرطوم السودان، ط الثانية، تاريخ النشر 2008م، الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع، الإدارة/ شارع الجامعة - الخرطوم.
- (16) ميثم حسين حمزة: دور الرأي العام في النظام السياسي الإسلامي، مجلة اهل البيت عليهم السلام، جامعة أهل البيت-العراق، العدد 8 -2009م
- (17) نعمان احمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط 1 1999م.

العلاقات الاجتماعية بين بلاد عمان وساحل شرق إفريقيا في العصر الإسلامي (الهجرات السكانية أنموذجاً)

باحث - المملكة العربية السعودية

أ. عبد العزيز خليفة فرج السلمي

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العلاقات الاجتماعية بين بلاد شرق إفريقيا وبلاد عمان منذ البواكير الأولى للعصر الإسلامي وذلك بالاعتماد بشكل رئيس على الهجرات السكانية العمانية نحو شرق إفريقيا عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي. وتعد هذه الهجرات العمانية من أهم الهجرات السكانية لبلاد شرق إفريقيا لما اشتملت عليه من علاقات اقتصادية وثقافية متينة وانتقلت مؤثراتها مع الهجرات العمانية. كما لعبت الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية دوراً مهماً في الهجرات السكانية العمانية (أفراد وجماعات) نحو بلاد شرق إفريقيا. تنبع أهمية الدراسة من كونها تناقش موضوع العلاقات بين عمان وشرق إفريقيا في العصور الإسلامية من خلال الدوافع الداخلية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا، والدوافع الخارجية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا، وأثر الهجرات السكانية العمانية على الحياة العامة في بلاد شرق إفريقيا. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: من أسباب الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا الاضطرابات السياسية التي سادت في الجزيرة العربية وخاصة بسبب حركتي الخوارج والقرامطة. إن الأواصر والعلاقات التي جمعت بين المهاجرين العمانيين وسكان بلاد شرق إفريقيا في عصر التاريخ الإسلامي الوسيط تميزت بكونها متعددة الأوجه، والبارز فيها التواصل الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الاجتماعية ، عمان ، ساحل إفريقيا الشرقي ، العصور الإسلامية.

Social relations between Oman and the coast of East Africa in the Islamic era

(Population migrations as a model)

Abdulaziz Khalifah F Alsulami

Abstract:

This study aims to shed light on the social relations between the countries of East Africa and the countries of Oman since the early beginnings of the Islamic era, by relying mainly on the Omani population migrations towards East Africa through the Arabian Sea and the Indian Ocean. These Omani migrations are among the most important population migrations to the countries of East Africa because of the strong economic and cultural relations they included, and their influences were transmitted with the Omani migrations. The political, economic and

cultural conditions also played an important role in the migrations of the Omani population (individuals and groups) towards the countries of East Africa. The importance of the study stems from the fact that it discusses the issue of relations between Oman and East Africa in the Islamic eras through the internal motives of the Omani population migration to the countries of East Africa, the external motives of the Omani population migration to the countries of East Africa, and the impact of the Omani population migrations on public life in the countries of East Africa. The study followed the historical descriptive analytical approach in order to reach results, the most important of which are: Among the causes of the Omani population migrations to the countries of East Africa are the political disturbances that prevailed in the Arabian Peninsula, especially because of the Kharijite and Qarmatian movements. The bonds and relations that brought together the Omani immigrants and the inhabitants of the countries of East Africa in the era of medieval Islamic history were characterized by being multi-faceted, and the most prominent of them was economic communication.

Keywords: social relations, Oman, the eastern coast of Africa, Islamic eras.

المقدمة:

بدأت العلاقات بين بلاد شرق إفريقيا وعمان منذ البواكير الأولى للعصر الإسلامي، حيث كانت منطقة الخليج العربي نقطة انطلاق الهجرات العربية الإسلامية إلى المناطق المجاورة لها، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. ومن ضمنها الهجرة العمانية نحو شرق إفريقيا عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي، وهناك أدلة واضحة كذلك تشير إلى العلاقات العمانية مع بلاد شرق إفريقيا في مختلف العهود الزمنية. حيث أقيمت علاقات اقتصادية وثقافية متينة وانتقلت مؤثراتها مع الهجرات العمانية. كما لعبت الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية دوراً مهماً في الهجرات السكانية العمانية (أفراد وجماعات) نحو بلاد شرق إفريقيا. ويهدف الباحث من هذه الدراسة إلى التعرف على بعض تلك الهجرات العمانية نحو بلاد شرق إفريقيا خلال العصر الإسلامي. ويرتبط هذا الهدف بمعرفة طبيعة تلك الهجرات وما نتج عنها، ويحجب عن التساؤلات التالية:

ماهي عوامل الطرد التي ساهمت في عملية الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا؟
 ماهي عوامل الجذب التي ساهمت في عملية الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا؟
 وتم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول شملت الدوافع الداخلية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا، والدوافع الخارجية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا، وأثر الهجرات السكانية العمانية على الحياة العامة في بلاد شرق إفريقيا ليتم الإجابة عن التساؤلات السابقة. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي في تتبع الإشارات الواردة في المصادر والمراجع التاريخية، وكتب الجغرافيا والرحلات والبلدان، للاستفادة منها في جمع المعلومات وصياغتها في هذا القالب البحثي.

الدوافع الداخلية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا:

لكل سبب علة، ولكل هجرة دوافع، فانتقال الناس أفراداً كانوا أو جماعات من موطنهم إلى مكان آخر، لا يأتي بين ليلة وضحاها، بل يسبقه تنسيق وانتقاء للمكان الجديد مثل هجرة البحث عن المراعي الخصبة، أو الهجرة التي تكون طلباً للحماية، أو كان للسلطة دوراً في تلك الهجرة⁽¹⁾. وعند دراستنا للهجرات السكانية العمانية الإسلامية إلى بلاد شرق إفريقيا لابد من الاعتماد على مصدرين أساسين لدراسة هذا الموضوع وهما أولاً: الاعتماد على تاريخ الهجرات السكانية العربية الإسلامية المبكرة القادمة من إقليم جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الأقاليم الجنوبية من المغرب الإسلامي⁽²⁾، يضاف إليه الفتوحات الإسلامية وما رافقها من قبائل وأسر عمانية قادمة مع جيوش الفتح من شبه جزيرة العرب⁽³⁾، وثاني هذه المصادر هو مرحلة هجرة عرب عمان وشرق الجزيرة العربية إلى السواحل الإفريقية، وتقول المصادر والمراجع التاريخية بأن هجرة الأمير سليمان بن عبادة الجلندي وقومه الجلندانيين من عمان إلى لامو على الساحل الشرقي الإفريقي في أواخر القرن الأول الهجري من أهم الهجرات العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا لما لها من سبق تاريخي⁽⁴⁾، وتعود سبب الهجرة الجلندية من عمان إلى لامو إلى عدة أسباب أهمها:

اشتداد العداء بينهم وبين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

صراعهم الواسع مع الخوارج⁽⁵⁾.

وكذلك من الهجرات العمانية الهامة، هجرة الأخوة السبعة التي حدثت خلال العصر العباسي فراراً من القرامطة الذين نشروا الرعب في أنحاء الجزيرة العربية⁽⁶⁾، وقد هاجرت هذه الجماعة العربية في بداية القرن 10/هـ من الأجزاء الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية إلى ساحل شرق إفريقيا⁽⁷⁾، وقد جاءوا في 3 سفن محملة بالرجال والعتاد والعسكري، وتمكن الأخوة السبعة في فترة وجيزة من تأسيس مدينة مقديشو التي جعلوها عاصمة لدولتهم الجديدة، وامتد نفوذهم على معظم أجزاء ساحل الصومال وصولاً إلى جزيرة مدغشقر⁽⁸⁾، وقد ذكر المسعودي وجودهم في جزيرة مدغشقر، حيث قال أن فيها قوما من المسلمين، غلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش في البحر الرومي⁽⁹⁾.

وتعد هجرة أسرة آل نبهان العربية في القرن 7/هـ 13م من أشهر الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا في العصر الوسيط، حيث استطاعت أسرة بني نبهان أن تبسط نفوذها على معظم مدن سواحل الشرق الإفريقي طوال القرنين السابع والثامن الهجريين⁽¹⁰⁾، وتجمع المصادر والمراجع التاريخية على أن وجود الأسرة النبهانية بالشرق الإفريقي كان للأسباب التالية:

الغزو الفارسي على بلاد عمان، مما أدى إلى هجرة العديد من العوائل النبهانية من عمان إلى الشرق الإفريقي.

ظهور الصراع الفقهي في عمان، حيث ظهرت المدرسة النزوانية والمدرسة الرستاقية وهما مدرستين سياسيتين تحاول كل وحدة تنصيب نفسها قائداً لعمان.

الصراع العسكري بين النبهانيين واليعاربة، وكان من أهم الأسباب الرئيسية لهجرة النبهانيين إلى الشرق الإفريقي⁽¹¹⁾.

ومن خلال هذا العرض الوجيز لبعض موجات الهجرات السكانية العمانية القادمة من شبه الجزيرة العربية والمتمجهة إلى بلاد شرق إفريقيا يمكن القول إنها جاءت نتيجة للاضطرابات السياسية التي سادت بلاد عمان وخاصة بسبب حركة الخوارج، والغزو الفارسي لبلاد عمان، وحركة حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط.

الدوافع الخارجية للهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا:

في مقابل عوامل الطرد السلبية التي حدثت على ساحة البلاد العمانية، كانت هناك عوامل الجذب الإيجابية في بلاد شرق إفريقيا، شجعت المهاجرين العمانيين على الإقامة والعيش في بعض بلدان شرق إفريقيا، والملاحظ أن هجرة العمانيين إلى بلدان شرق إفريقيا كانت أنشط باتجاه المناطق الساحلية، كما كان لعوامل الجذب السياسية والجغرافية والاقتصادية دوراً كبيراً في معظم هجرات العمانيين إلى بلدان شرق إفريقيا⁽¹²⁾.

أولاً: العامل الجغرافي:

يعتبر الموقع الجغرافي من أهم المقومات الجغرافية الذي أكسب عمان أهميتها السياسية والاقتصادية عبر التاريخ⁽¹³⁾، حيث أن عمان تعتبر قاعدة منطقة الخليج العربي إذ تقع على مداخله من الجهة الجنوبية على الشاطئ الغربي وفي نفس الوقت تطل على المحيط الهندي أي أنها تقع على الطريق الرئيسي للتجارة الرائجة الممتدة بين الصين إلى المدن الواقعة على الخليج العربي إذ وصفها ابن حوقل بقوله: « وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة .. وهي على البحر وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة »⁽¹⁴⁾. كما وصفها المقدسي بأنها دهليز الصين وخرزانة الشرق والعراق⁽¹⁵⁾. وبالنظر لوقوع عمان ضمن الأقاليم المدارية الحارة وامتدادها على خطوط عرض (40-60 درجة) و(20-26 درجة) شمالاً وامتلاكها لسواحل طويلة تزيد عن 2000 كيلو متر على البحر العربي وخليج عمان والخليج العربي فضلاً عن التنوع التضاريسي فقد أدى ذلك إلى تعدد البيئات المناخية⁽¹⁶⁾، ولهذا لعب العامل الجغرافي دوراً كبيراً في الهجرة السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا وذلك للأسباب التالية:

المناخ الإفريقي القريب جداً من مناخ بلاد عمان مما ساعد بالتالي إلى هجرة العمانيين إلى بلاد شرق إفريقيا.

الساحل الشرقي الإفريقي القريب جداً من عمان ذات المخاطر القليلة⁽¹⁷⁾.

البيئة الجغرافية الإفريقية أغنى من البيئة الجغرافية العمانية، إذ تعتبر البيئة العمانية وبالرغم من كونها إقليمياً متميزاً عن شبه الجزيرة العربية بموارده المائية والزراعية والموقع الجغرافي إلا أنها تعتبر بيئة طاردة للسكان فضلاً عن تأثير العوامل البشرية المحيطة بعمان والتغيرات السياسية الإقليمية عليها لما تمتلكه من موقع مهيمن على حركة التجارة البحرية⁽¹⁸⁾.

بما أن بلاد عمان تطل على الخليج العربي ومنها إلى بحر العرب ثم الانطلاق إلى شرق إفريقيا عن طريق السفن شجع العمانيين إلى الهجرة إلى بلاد شرق إفريقيا لأنهم يمتلكون خبرة عالية في ركوب البحر⁽¹⁹⁾.

ثانياً: العامل السياسي:

كان للعامل السياسي دوراً كبيراً في عملية الجذب الإيجابية إلى بلاد شرق إفريقيا، حيث شجعت المهاجرين العمانيين على الإقامة والعيش في بعض بلدان شرق إفريقيا وذلك للأسباب التالية:

بما أن منطقة شرق إفريقيا بعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية (دمشق ، بغداد) فإن العمانيون كانت

لهم طموحات سياسية بعيدة عن بني أمية وبني العباس، وكي يتسنى لهم حكم المنطقة حكماً مستقلاً لاسيما وان ظهور الحروب والغزوات بين زعماء القبائل الأفريقية بسبب البدائية المتفشية بين أفرادها، ولعدم وجود سلطات حكم محلية في الشمال قوية، كل ذلك شجع العمانيين إلى بناء مجد سياسي في بيئة يبدو أنها مهيأة لتلبية طموحاتهم بعيدة عن السلطة في عمان وكانت بلاد شرق إفريقيا مهيأة لهم والمجال متاح لهم لعدم وجود سلطة وطنية حاكمة قوية توفر لهم الأمن وتحمي المصالح لذا جعل السكان الأصليين يتقبلون سلطنة الأقباط القادمة من بيئات جغرافية وثقافية قريبة لهم⁽²⁰⁾.

كذلك بما أن شمال إفريقيا بعيد عن مركز الخلافة (دمشق، بغداد) فان السيطرة الأموية أو العباسية ضعيفة نوعاً ما فإنها بالطبع سوف تكون شبه معدومة في الجنوب الشرقي الإفريقي⁽²¹⁾.

ثالثاً: العامل الاقتصادي:

يعتبر ساحل شرق إفريقيا من الأقاليم التي ساهمت وبشكل واضح في اضطراد التجارة مع ساحل بلاد عمان، حيث كان مسار السفن التجارية تنطلق من الساحل العماني بعد تزويدها بالماء والغذاء والبضائع وكل سفينة لها وجهتها فمنها تتوجه إلى الهند أو شرق آسيا والصين ومنها ما يتوجه إلى شرق بلاد إفريقيا حيث تسير عبر السواحل العمانية المطلة على البحر العربي ثم تعبر خليج عدن ومتجهة إلى الساحل الإفريقي وتتوزع على مدن مهمه في الصومال وممباسا وغيرها⁽²²⁾، كما اشتهرت بلاد عمان بالموانئ القديمة والكثيرة حيث كانت في بلاد عمان ميناء صحرار ودبا وصور وقلهات ومرباط ومسقط، وهذه الموانئ ساعدت على بدء التجارة بين بلاد عمان وبلاد شرق إفريقيا، مما سهل بصورة عامة على هجرة العمانيون إلى شرق إفريقيا، فكانت المراكب التجارية تخرج من تلك الموانئ إلى شرق إفريقيا، وعندما تطورت العلاقات التجارية بين بلاد عمان وبين بلاد شرق إفريقيا كان من البديهي أن تأخذ معها علاقات اجتماعية لتلك الجماعات المهاجرة من بلاد عمان، وهذه الجماعات استقرت في أقاليم شرق إفريقيا، لاسيما في إقليم مدغشقر وممباسا وزنجبار وغيرها⁽²³⁾. كما وقد ساعدت تلك العلاقات التجارية بين بلاد عمان وبلاد شرق إفريقيا على هجرة العمانيين إلى سواحل إفريقيا الشرقية، بل وازدادت هجرات العمانيون إلى ساحل شرق إفريقيا بعد توجه الدولة العباسية لجلب العبيد من زنجبار للعمل في المزارع الموجودة في جنوب العراق وتجنيدهم في الجيش العباسي، مما أدى تعميق الهجرات العمانية إلى الشرق الإفريقي من أجل المساهمة في تجارة العبيد بل وأصبح التجار العمانيون بعد ذلك مركز توزيع العبيد على جميع المناطق المجاورة⁽²⁴⁾.

أثر الهجرات السكانية العمانية على الحياة العامة في بلاد شرق إفريقيا:

تركت هجرة العمانيون آثار واضحة في إقليم شرق إفريقيا وشملت تلك الآثار مناحي الحياة المختلفة.

التأثيرات السياسية:

بعد ان هاجر العمانيون إلى بلاد شرق إفريقيا كان لهم تأثير مباشر على السكان في الحياة السياسية، حيث نقل العمانيون إلى بلاد شرق إفريقيا نظام الشورى، وفي هذا الأمر يقول ياقوت الحموي عن سكان مقديشو: «إنما يدبر أمورهم المتقدمون على اصطلاح لهم»⁽²⁵⁾. وكان كذلك مظاهر الحكم في سلطنة مقديشو متبعة في المدن التي أقامها العمانيون المسلمون في بلاد شرق إفريقيا، فسلطنة لامو كانت تطبق نظام

الشورى في الحكم، فألى جانب الأمير الجلندي كان هناك مجلس شورى يتألف من وجهاء المدينة، ولا يتم عقد أي أمر إلا بعد استشارتهم، ومن حق أي مظلوم من سكان المدينة، أن يلجأ إلى هذا المجلس بمظلمته، طلباً للإنصاف والعدالة⁽²⁶⁾. وقد تنوعت نظم السلطة في العديد من الأقاليم الإسلامية في بلاد شرق إفريقيا، بين الوراثة والشورى حسب الظروف التي تمر بها تلك الإمارات، أو على حسب العادات والتقاليد التي حملتها الأسر العمانية المهاجرة من مواطنها الأصلية⁽²⁷⁾. وأياً كان تنوع تلك النظم؛ فقد نقلت تلك النظم الجماعات القبلية المتفرقة في بلاد شرق إفريقيا، إلى مجتمع الدولة المركزية، فتدخلت النظم العمانية العربية والإسلامية مع الأماط الإفريقية المحلية، إذ امتزجت تلك النظم والتقاليد العمانية العربية الإسلامية مع العادات والموروثات الإفريقية في إطار جديد راسخ، دون أن تنسخ إحدهما الأخرى⁽²⁸⁾.

التأثيرات الاقتصادية:

تقع بلاد عمان على ملتقى الطرق البحرية التي تربط بالخليج العربي والهند وإفريقيا الشرقية، ولما كانت التجارة أهم العناصر الحيوية في علاقات المجتمعات، كان العمانيون قد لعبوا دوراً هاماً في تاريخ التجارة والملاحة البحرية مع سواحل بلاد شرق إفريقيا، والتي ساعدت على تواصل العلاقات التجارية بين العرب العمانيون وبلاد شرق إفريقيا، وبسببها تأسست المراكز والمستوطنات التجارية الأولى على سواحل شرق إفريقيا، فازدهرت الحياة الاقتصادية مما أدى إلى الاستقرار والتزاوج بين السكان المحليين والجماعات العمانية المهاجرة⁽²⁹⁾. كما كان لجهود المهاجرين العمانيين تأثير مباشر في مجال الزراعة في بلاد شرق إفريقيا، حيث يذكر الادريسي أن الموز العماني ظهر بصورة جلية في مناطق كثيرة في شرق بلاد إفريقيا⁽³⁰⁾. وتعد المواد المنتجة أو المصدرة من بلاد ساحل شرق إفريقيا وإليه، العنصر الأساسي الذي تقوم عليه التجارة، فقد نقل العمانيون العرب صادرات المنطقة من العاج والذهب وريش النعام واللؤلؤ إلى الأسواق العربية في بلاد عمان وشبه الجزيرة العربية⁽³¹⁾. كمان نقل العمانيون العرب إلى سواحل شرق إفريقيا، تربية الإبل والماشية والأغنام، حتى صارت الجلود من الصادرات الأساسية بمنطقة ساحل شرق إفريقيا، ونقلوا أيضاً زراعة البرتقال وبعض الفواكه والخضروات، بالإضافة إلى الأرز والبلح⁽³²⁾. كما لعب المهاجرون العُمانيون في بلاد شرق إفريقيا دور الوساطة التجارية بين ساحل شرق إفريقيا من جانب والهند والصين من جانب آخر، وفي هذا يقول المسعودي: «وقد ذهب كثير من نواخذة البحر الحبشي من السيرافيين والعُمانيين ممن يقطعون هذا البحر، ويختلفون إلى عمائره من الأمم التي في جزائره وحوله إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة، مرة يمد في الصيف شرقاً بالشمال سنة أشهر، فإذا كان ذلك طغى الماء في مشارق الأرض وبالصين، وما وراء ذلك من الصقع، وانحسر بالصين من مغارب البحر، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر، فإذا كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر، وانحسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحريك الرياح..»⁽³³⁾. ومن خلال الإشارة الأنفة يتضح لنا دور العُمانيين المهاجرين المهم على سواحل شرق إفريقيا في مجال التجارة، ومساهماتهم الكبيرة في ازدهار المنطقة اقتصادياً.

التأثيرات الاجتماعية والثقافية:

كانت الجماعات العمانية العربية المسلمة التي هاجرت إلى بلاد شرق إفريقيا تحمل معها دينها ولغتها، وكانوا يختلطون بالسكان المحليين وينقلون إلى لغات بلاد شرق إفريقيا الكثير من كلماتهم خصوصاً

ما كان منها متعلقاً بأمور الدين والتجارة⁽³⁴⁾. كما كانت اللغة العربية هي أكثر اللغات تفاعلاً مع اللغات الأفريقية بشكل عام⁽³⁵⁾. وعندما قدم العمانيون العرب إلى بلاد ساحل شرق إفريقيا لم يكونوا ليعلموا شيئاً عن لغة البانتوم الأفريقية وكذلك قبائل البانتو لم يعرفوا شيئاً عن اللغة العربية وكان لابد من وجود لغة للتواصل والتفاهم بين العرب وأبناء البانتو ثم بدأت اللغة السواحلية بمفرداتها البانتوية والعربية أخذت قالباً خاصاً يحمل أصوات اللغة البانتوية والحرف العربي⁽³⁶⁾، وكذلك كان الاحتكاك المستمر بين التجار العمانيون ولغتهم وبين قبائل البانتو ولغتهم في بلاد شرق إفريقيا له بالغ الأثر في اقتراض اللغة السواحلية العدد من المفردات العربية والتي بلغت 25% من مفرداتها الخاصة في مناطق الساحل والجزر القريبة منه⁽³⁷⁾.

كما تجلّى تأثير الحضارة العربية الإسلامية التي نقلها العمانيون على بلاد ساحل شرق إفريقيا في العمارة والبناء وخطط المدن وفن النقش على الخشب وهندسة بناء المساجد⁽³⁸⁾. وقد كثرت المساجد في مدن شرق إفريقيا حتى أصبحت لأصغر مجموعة سكنية مكونة من عدة منازل مسجداً⁽³⁹⁾. ولقد نفخ العمانيون المهاجرون في سكان بلاد شرق إفريقيا حب الأدب وفنون الشعر، فبرز الكثير من العلماء والشعراء والأدباء المفوهون باللسان العربي مثل الفقيه أبي عثمان بن علي الصومالي الذي قدم القاهرة من مقيديشو في القرن الرابع عشر الميلادي، ونشر الفقه فيها ومات بها⁽⁴⁰⁾، وكذلك المؤرخ الصومالي أحمد بن عبد القادر صاحب كتاب فتوح الحبشة، وكذلك الأديب عبد الله منبر الزيلعي⁽⁴¹⁾. ويقتزن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم والإسلامية في بلاد شرق إفريقيا بعهود الإمارات الأفريقية الإسلامية، كما أن الازدهار والرخاء التجاري كانا من العوامل الأساسية التي ساعدت على قيام نهضة علمية ثقافية إسلامية شامخة⁽⁴²⁾. هذا ولم تقتصر العلوم الدينية وغيرها من العلوم في بلاد شرق إفريقيا على الرجال فقط، وإنما امتدت لتشمل النساء أيضاً، فقد نلن حظهن من تعلم القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية⁽⁴³⁾.

الخاتمة:

وفي الختام فقد توصلت الدراسة بعد توفيق الله عز وجل إلى عدد من النتائج، والتي كان من أهمها: كان احد أسباب الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا هو نتيجة للاضطرابات السياسية التي سادت الجزيرة العربية وخاصة بسبب حركتي الخوارج والقرامطة.

إن الأواصر والعلاقات التي جمعت بين المهاجرين العمانيين وسكان بلاد شرق إفريقيا في عصر التاريخ الإسلامي الوسيط تميزت بكونها متعددة الأوجه، والبارز فيها التواصل الاقتصادي.

لعب الهجرات العمانية العربية إلى إقليم بلاد شرق إفريقيا دوراً مهماً في استقرار الإسلام، حيث ساهمت هذه القبائل المهاجرة بشكل كبير في صبغ المنطقة بالصبغة العربية الإسلامية فأصبح أغلب سكان إقليم بلاد شرق إفريقيا يتحدثون العربية بدل لغاتهم الأصلية، كذلك أصبح إقليم بلاد شرق إفريقيا قاعدة انطلاق في نشر الإسلام في بلاد الحبشة والسودان الجنوبي وجنوب الصحراء.

كان للعوامل الجغرافية دوراً كبيراً في حدوث الهجرات السكانية العمانية إلى بلاد شرق إفريقيا، إذ أن موقع بلاد عمان المتوسط بين حضارات العالم القديم والوسيط له دوراً كبيراً في جعل أراضيها وموانئها محطات لرسو وانطلاق السفن التجارية القادمة والمغادرة من الخليج العربي إلى بلاد شرق إفريقيا.

ساهم المهاجرون العمانيون بنقل مواد زراعية وتجارية وصناعية من بلاد عمان إلى بلاد شرق إفريقيا.

كان للعرب عامة وللمهاجرين العمانيين خاصة دوراً بارزاً في كافة أوجه الحياة العامة في بلاد شرق إفريقيا حتى أصبحت هذه البلاد إسلامية خالصة، وكذلك أصبح الإسلام في المنطقة صخرة صلبة أمام الهجمات الأوربية المتكررة لإرجاعه إلى المسيحية.

سهلت طبيعة بلاد شرق إفريقيا بصورة مباشرة لهجرة العمانيين إلى بلاد شرق إفريقيا كبعد المسافة بين مركز الخلافة والشرق الإفريقي والتضاريس والمناخ الإفريقي القريب جداً من مناخ بلاد عمان مما ساعد بالتالي إلى هجرة العمانيين إلى بلاد شرق إفريقيا.

الملاحق

نقلاً عن: الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 233.



نقلاً عن: الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 232.



الهوامش:

- (1) الغنای، رجعة فضیل، هجرة بني سليم وأثرها في إقليم برقة، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر، مج1، ع1، 2019م، ص316.
- (2) سلام، عامر عمر، هجرة القبائل العربية إلى الشمال الإفريقي، مجلة المنهل، ص9-10.
- (3) سلام، هجرة القبائل العربية إلى الشمال الإفريقي، ص10.
- (4) النعماني، سعيد بن سالم، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرنين الأول والسابع الهجريين (دراسة سياسية حضارية)، دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، 2012م، ص153؛ الحشماوي، رشيد الطيف إبراهيم، الهجرات العمانية في العصر العباسي، مجلة أداب الفراهيدي، ع29، 2017م، ص231.
- (5) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، مجلة أداب الفراهيدي، ص230.
- (6) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج2، المكتبة العصرية، صيدا، 2013م، ص1585؛ جريس، غيثان بن علي، العرب في مقدشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، مجلة المؤرخين العرب، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع1، 1993م، ص131.
- (7) جريس، غيثان بن علي، الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع3، 1995م، ص76.
- (8) جريس، العرب في مقدشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، ص131؛ توماس ارنولد، الدعوة إلى الاسلام، ترجمة حسين إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص390-387.
- (9) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب، ط5، ج1، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص98.
- (10) الخويلدي، محمد علي عمر، التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا من القرن الخامس الهجري حتى السابع، دار العلم والإيمان للنشر، الجزائر، 2018م، ص98-100.
- (11) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص236-237.
- (12) جريس، الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقية، ص75-76.
- (13) السبتي، محمد زباري، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية بين الساحل العماني وساحل أفريقيا خلال العصر الإسلامي، حولية المنتدى، ع42، 2020م، ص235.
- (14) ابن حوقل، محمد أبو القاسم، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص44-45.
- (15) المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم، ط3، ليدن، مطبعة بريل، 1906م، ص92.

- (16) السبتي، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية، ص 237.
- (17) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 231.
- (18) الحشماوي، المرجع السابق، 237.
- (19) الحشماوي، المرجع السابق، ص 231.
- (20) النعماني، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا، ص 144.
- (21) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 231.
- (22) السبتي، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية، ص 244-255.
- (23) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 232-233.
- (24) السبتي، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية، ص 244.
- (25) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 173.
- (26) رجب عبد الحليم، العُمانيون والملاحه والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، عُمان، 1929م، ص 272.
- (27) سكيب، شعبان دخيل سعيد، الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الإفريقية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، مج 2، ع 3، ج 2، 2013م، ص 320.
- (28) يونس، محمد المبروك، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الإفريقية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1986م، ص 17.
- (29) سكيب، الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الإفريقية، ص 320.
- (30) الحشماوي، الهجرات العمانية في العصر العباسي، ص 234.
- (31) سكيب، الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الإفريقية، ص 321.
- (32) سكيب، المرجع السابق، ص 322.
- (33) المسعودي، مروج الذهب، ج 1، ص 91.
- (34) جريس، العرب في مقدشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، ص 144.
- (35) السبتي، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية، ص 242.
- (36) السبتي، المرجع السابق، ص 242.
- (37) السبتي، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية، ص 242.
- (38) الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الإفريقية لشعبان دخيل سكيب، نقلاً عن عبد الرحيم زكي، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، (القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1965م)، ص 76.
- (39) الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الإفريقية لشعبان دخيل سكيب، نقلاً عن سبنسر ترمينجهام، الإسلام في شرق إفريقيا، ترجمة وتعليق عاطف النواوي، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1973م)، ص 156.

- (40) جريس، العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، ص 145 .
- (41) عرب فقيه، أحمد بن عبد القادر، بهجة الزمان (فتوح الحبشة)، مخطوطات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم 962/ف . س تاريخ قصص؛ جريس، العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، ص 145.
- (42) سالم، حمدي السيد، الصومال قديمًا وحديثًا، ج1، د . ن، مقديشو، 1965م، ص 345-359؛ جريس، الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقية في العصور الوسطى، ص 78.
- (43) جريس، المرجع السابق، ص 79.

المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

- (1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج2، المكتبة العصرية، صيدا، 2013م.
- (2) ابن حوقل، محمد أبو القاسم، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.
- (3) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب، ط5، ج1، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م.
- (4) المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم، ط3، ليدن، مطبعة بريل، 1906م.
- (5) عرب فقيه، أحمد بن عبد القادر، بهجة الزمان (فتوح الحبشة)، مخطوطات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم 962/ف. س تاريخ قصص.
- (6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1977م.
- (7) ثانياً المراجع:
- (8) أولاً الكتب:
- (9) توماس ارنولد، الدعوة إلى الاسلام، ترجمة حسين إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.
- (10) سينسر ترمنجهام، الإسلام في شرق إفريقيا، ترجمة وتعليق عاطف النواوي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1973م.
- (11) سام، حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً، ج1، د. ن، مقديشو، 1965م.
- (12) الخويلدي، محمد علي عمر، التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا من القرن الخامس الهجري حتى السابع، دار العلم والإيمان للنشر، الجزائر، 2018م.
- (13) رجب عبد الحليم، العُثمانيون والملاحاة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، عُمان، 1929م.
- (14) النعماني، سعيد بن سام، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرنين الأول والسابع الهجريين (دراسة سياسية حضارية)، دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، 2012م.
- (15) يونس، محمد المبروك، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الإفريقية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1986م.
- (16) ثالثاً الدوريات والأبحاث:
- (71) جريس، غيثان بن علي، العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام، مجلة المؤرخين العرب، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع1، 1993م.
- (18) جريس، غيثان بن علي، الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقيا في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع3، 1995م.
- (19) الحشماوي، رشيد الطيف إبراهيم، الهجرات العمانية في العصر العباسي، مجلة أداب الفراهيدي، ع29، 2017م.

- (20) السبتي، محمد زباري، العوامل الجغرافية وتأثيرها في تطور العلاقات التجارية بين الساحل العماني وساحل أفريقيا خلال العصر الإسلامي، حولية المنتدى، ع42، 2020م.
- (21) الغنائي، رجعة فضيل، هجرة بني سليم وأثرها في إقليم برقة، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مج1، ع1، 2019م.
- (22) سكيب، شعبان دخيل سعيد، الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل.
- (23) الإفريقية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، مج2، ع3، ج2، 2013م.
- (24) سلام، عامر عمر، هجرة القبائل العربية إلى الشمال الإفريقي، مجلة المنهل.

لمحات عن التعليم وبداياته في المدينة المنورة (1343 - 1373 هـ / 1924-1953م)

«دراسة تاريخية»

باحثة في التاريخ الحديث والمعاصر - المملكة العربية السعودية

أ. سهام حسن مرعي معشي

المستخلص:

قام التعليم الأهلي بدور بارز في نشأة الحركة التعليمية بالمملكة بصفة عامة وفي المدينة المنورة على وجه الخصوص، وبحثنا هذا يتناول التعرف على بدايات نشأة التعليم في المدينة من خلال التطرق إلى الكتابات والحلقات التعليمية داخل المسجد النبوي الشريف وخارجه، ثم تسليط الضوء على أبرز المدارس الأهلية في تلك المنطقة في فترة عهد الملك عبدالعزيز، وتهدف الدراسة إلى تتبع التطور التاريخي لمؤسسات التعليم الأهلي في المدينة المنورة خلال العهد السعودي، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى النتائج والأهداف المرجوة، وتوصلت الباحثة إلى نتائج معينة والتي من أهمها: انتشرت الكتابات في المدينة المنورة في المسجد النبوي الشريف وفي المساجد الأخرى في أحياء المدينة. لم تقتصر الكتابات على البنين فقط بل كانت هناك كتابات للبنات في مختلف الأحياء؛ لتحفيظ القرآن الكريم، والقضاء على الأمية بين بنات المدينة. أسهمت الحلقات التعليمية في دفع حركة التعليم في المدينة خلال عهد الملك عبدالعزيز. تنوعت المدارس الأهلية في المدينة المنورة، حيث لاقت دعماً مادياً ومعنوياً من الملك عبدالعزيز.

الكلمات المفتاحية: المدينة المنورة، المسجد النبوي، التعليم الأهلي، الكُتّاب، الحلقات التعليمية.

Glimpses on education and its beginnings in Medina

(1343-1373 AH / 1924-1953 AD)

“Historical Study”

A. Seham Hassan Morei Maashi.

Abstract:

Private education played a prominent role in the emergence of the educational movement in the Kingdom in general and in Medina in particular, and our research deals with identifying the beginnings of the emergence of education in the city by addressing the books and educational circles inside and outside the Prophet's Mosque, and then shedding light on the most prominent private schools in that region during the era of King Abdulaziz. The study aims to trace the historical development of the private educational institutions in Madinah during the period The Saudi era, The study followed the historical descriptive analytical approach In order to achieve desired results and goals, and the researcher reached certain results, the most important of which are: The

books spread in Al-Madinah Al-Munawwarah in the Noble Prophet's Mosque and in other mosques in the city's neighborhoods. Schools were not limited to boys only, but there were girls' schools in various neighborhoods. To memorize the Holy Qur'an and eliminate illiteracy among the girls of the city The educational circles contributed to advancing the education movement during the reign of King Abdulaziz. Private schools varied in Medina, where they received financial and moral support from King Abdul Aziz.

Keywords: AL-Madinah AL- Munawwarah, Prophet's Mosque, Private Education, AL-Kuttab, Scientific episodes.

تمهيد:

بدأ التعليم الأهلي في المملكة قبل التعليم الحكومي، خاصة في الحجاز، وحظي بدعم الحكومة منذ حكم المؤسس الملك عبدالعزيز، ويُعد التعليم الأهلي في المملكة مسانداً للتعليم الحكومي بجميع مستوياته، والتعليم الأهلي في المدينة المنورة جزء من موضوع التعليم العام في المملكة العربية السعودية، والذي تناولته الأبحاث والدراسات العلمية التاريخية، ولكن معظم الدراسات والأبحاث السابقة تشير إلى الأحوال التعليمية الأهلية إشارات موجزة بسيطة، فيأتي هذا البحث لتسليط الضوء على التعليم الأهلي في المدينة المنورة في فترة حكم الملك عبدالعزيز آل سعود للحجاز وحتى وفاته، وهذه الفترة لم تتم دراستها دراسة وافية من الناحية التعليمية في المصادر التي تحدثت عن أحوال المنطقة، وقد تميزت المدينة المنورة في تلك الفترة بشهرتها وعلمها، حيث ضمت الكثير من العلماء، الذين قادوا الحركة العلمية إلى جميع البلدان العربية والإسلامية، وبما أن الكتابات كانت القاعدة الأولى للتعليم الأهلي، فقد تطورت الكتابات وبلغ عددها بعهد الملك عبد العزيز 180 كتاباً موزعة على جميع مناطق الحجاز، وإلى جانب الكتابات المخصصة للأولاد، (والتي سيتم توضيحها بالتفصيل في ثانياً البحث)، وجدت أيضاً كتابات خاصة بالفتيات، ولكنها كانت محدودة العدد. وكان التعليم فيها يتمثل في تعليم الطالبة القرآن الكريم تلاوة مع حفظ بعض الأجزاء، وأحياناً حفظ القرآن الكريم كاملاً، وذلك حسب رغبة ولي أمر الطالبة ومقدرتها على التحصيل العلمي. وبجانب دراسة القرآن الكريم يتم تعليم الطالبة القراءة والكتابة، وبعض أحكام الصلاة والصيام، والحساب والسيرة النبوية والأشغال اليدوية المنزلية. وتذكر تقارير مديرية المعارف العامة، أن عدد كتابات البنات المشهورة في المدينة المنورة كثيرة، ومن أشهرها: مدرسة الفوز والنجاح ومعلمتها فاطمة هانم، وعدد طالباتها 120 طالبة. المدرسة الفخرية ومعلمتها فخرية هانم، وعدد طالباتها 95 طالبة⁽¹⁾. وفي عام 1370هـ / 1950م تطورت الدراسة بها فاستبدلت الألواح الخشبية بالسبورة والكتب المدرسية، وعدلت المناهج حتى تتناسب مع التطور الذي أدخل على الكتابات، فأصبحت معظم الكتابات تشبه المدارس التحضيرية الحديثة⁽²⁾.

هذا ويجب أن نشير إلى أن بعض الفتيات يتم تعليمهن في كُتّاب الأولاد حتى سن الثامنة فقط، ثم لا يسمح لهن بمواصلة الدراسة إلا في كتابات خاصة بالفتيات⁽³⁾.

«ومن أولويات التعليم في⁽⁴⁾ الكتابات النسائية تعليم المرأة الكبيرة مبادئ القرآن الكريم، وحفظ بعض سوره القصيرة وعدد من الأحاديث النبوية الشريفة إضافة إلى تدريس ما يتعلق في الأمور الدينية. وأما

البنات الصغيرات فإن أولويات تعليمهن مبادئ القراءة والكتابة في نفس الوسائل التعليمية التي يستخدمها الذكور، من ألواح خشب وأقلام غصون الشجر»⁽⁵⁾. وكانت الكتاتيب تغطي معظم مناطق البلاد، يقول السلطان: «وفي المدينة المنورة: وجدت فيها عدة كتاتيب للبنات منها: كُتَاب فاطمة هانم وكُتَاب فخرية هانم. وفي جدة: وجدت فيها عدة كتاتيب للبنات منها: كُتَاب الفقيه وكُتَاب خديجة الشامية وكُتَاب العمياء وغيرها»⁽⁶⁾.

ثم صدر الأمر الملكي رقم (7) بنظام مجلس المعارف في 27 محرم عام 1346هـ/1928م برئاسة مدير المعارف وعضوية أربعة من الموظفين، ومثلهم من أهل العلم وذوي الكفاءة والخبرة، وجاء في قرار إنشاء هذا المجلس - الذي يمثل في حقيقة الأمر سياسة التعليم فكراً وإدارة وتوجهاً- أن عليه وضع نظام تعليمي يلتزم بالاهتمام بالتعليم بكافة أنواعه ومنها النظر في حالة الكتاتيب^(7*)، ومتابعتها والعمل على إصلاحها⁽⁸⁾. وقد اشتهرت العديد من النساء خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري بتدريس الفتيات وتعليمهن، وقد أوردت كتب الاختصاص أسماء كوكبة من المعلمات الفضليات اللاتي شاركن في هذه الكتاتيب ونبذة من سيرهن اللامعة في التدريس الذي امتد لبعضهن أكثر من أربعين عاماً⁽⁹⁾. كما أن التعليم الأهلي ذو أهمية كبيرة لأنه يعد رافداً أساسياً ومسانداً للتعليم الحكومي في جميع مستوياته، ويساهم بدور إيجابي في تنمية القوى التربوية في المجتمع.

تعريف الكتاتيب:

«الكتاب موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب»⁽¹⁰⁾. الكتاب جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو من المؤسسات التربوية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة⁽¹¹⁾. وقد ظهر الكُتَاب كمؤسسة تعليمية منذ أوائل العهد الإسلامي، والكتاب هو المؤسسة التعليمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتقوم بتربية صغار المتعلمين وسُمي الكتاب بهذا الاسم نظراً لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة، ثم عُُمِم هذا الاسم بحيث أصبح يشمل كل مؤسسة تعليمية تعني بتربية الصغار حتى ولو لم تكن القراءة والكتابة مادتها الدراسية الوحيدة فقد أطلق هذا الاسم على مؤسسات تعليمية كان همها الأول تعليم الطفل وتحفيظه القرآن الكريم. ولعبت الكتاتيب دوراً كبيراً في حياة أهل الحجاز منذ صدر الإسلام وحتى العهد السعودي، وقد مر الكتاب بمراحل تطويرية تتناسب مع كل زمان، وكان أهل الحجاز يرسلون أبناءهم إذا بلغوا سن الرابعة أو الخامسة إلى الكتاتيب ليتعلموا مبادئ القراءة والكتابة. وكان التعليم مقصوراً في الكتاتيب على تعلم حروف الهجاء وسور القرآن الكريم، وأول سورة يبدأ الطالب قراءة الفاتحة والناس، ويستمر في حفظ قصار السور حتى يحفظ جزء عم، ويتعلم شيئاً من القراءة والكتابة والإملاء والخط ومبادئ الحساب كل تلميذ حسب قدرته ودرجة استيعابه. وأما الكتاتيب التي تقع في قرى المدينة وضواحيها فكانت على نطاق ضيق لا يتجاوز في الغالب سورة الفاتحة وسور الصلاة⁽¹²⁾. وكان لكل تلميذ لوح خاص مصنوع من الخشب للقراءة والكتابة والواجبات الأخرى مختلفة الأحجام على حسب قدرة الطالب على حمله⁽¹³⁾، والطلاب يجلسون على الأرض المفروشة بالحصير أو الحنابل، وكانت الكتاتيب في المدينة بعضها في المسجد النبوي، وبعضها الآخر في غرفة من غرف أحد المنازل تعود لصاحب الكُتَاب، وكانت تضيق بالطلبة؛ فلا يقل عددهم عن الخمسين أو الستين طالباً، ولم يكن

التعليم في هذه الكتاتيب مجاناً، وإمّا كان على ولي أمر الطالب أن يدفع مبلغاً معيناً مقابل تعليم ابنه أو بنته في الكتاب، وأما أبناء الفقراء فأنهم يدرسون دون مقابل، والمصادر التاريخية والتربوية لم تعطنا معلومات وافية في هذه الناحية، ولكن بعد تقصي دقيق أمكننا الحصول على المعلومات التالية والتي تبين ما يدفعه ولي أمر الطالب مقابل تعليم ابنه في الكتّاب في الحجاز، وهي أن ولي أمر الطالب يدفع لشيخ الكتاب كل يوم جمعة أو آخر الشهر مبلغاً من المال، فبعضهم يبعث خمسة قروش وآخر يدفع نصف ريال، أما أكبر قدر فغير محدد، ولكن يتجاوز الخمس ريالاً تدفع بعد عدة شهور⁽¹⁴⁾.

وكان أهل المدينة يفتتحون دراستهم بحفظ القرآن وفك الحرف في الكتاتيب، ثم ينتقلون إلى المسجد النبوي لمواصلة الدراسة⁽¹⁵⁾ والكتاتيب في المدينة المنورة تنقسم إلى قسمين هما⁽¹⁶⁾:

1- كتاتيب أهلية: بحيث يقوم ولي الأمر بدفع مخصص أسبوعي أو شهري لشيخ الكتاب نظير تعليم ابنه، وذلك حسب ما يتفق عليه، وأحياناً يترك ذلك لولي الأمر ومقدرته دون قيد أو شرط.

2- كتاتيب أميرية⁽¹⁷⁾: وهذه الكتاتيب تنفق عليها الدولة منذ عهد مديرية المعارف عام 1344هـ- 1925م، وتسلم رواتب المعلمين والعاملين فيها. وتحقيقاً لحسن سير التعليم أمر الملك عبد العزيز عام 1346هـ - 1928م بتشكيل مجلس المعارف يتألف من ثمانية أعضاء سوى الرئيس للإشراف على التعليم، ووضع برامجه ومناهجه، وتأليف الكتب المدرسية، ووضع الأنظمة الخاصة بالمدارس والمديرين والمعلمين، ووضع أنظمة الامتحانات، والإشراف على الكتاتيب، وله الحق في تعيين المعلمين وفصلهم في حالة الضرورة⁽¹⁸⁾. وجاء العهد السعودي والمدينة المنورة تزدخر بكثير من المدارس والكتاتيب التي لا يكاد يخلو منها شارع، كما كانت حلقات المسجد النبوي مفتوحة تستقبل الطلاب والدارسين، وكانت الأندية الأدبية والثقافية حافلة بالأدباء والمثقفين، إلا أن فقدان نعمة الأمن، وتكرار الاضطرابات السياسية كان قد عطل الحركة الثقافية، حتى منّ الله على المدينة وأهلها بالأمن والأمان الذي صاحب وصول الحكم السعودي⁽¹⁹⁾.

الكتاتيب داخل المسجد النبوي:

إن أي حديث عن الحركة الثقافية، بل عن جميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المدينة المنورة لا بد أن يبدأ بتسجيل دور المسجد النبوي الشريف، حيث يعد المسجد النبوي الشريف⁽²⁰⁾ أحد المنابع العلمية التي يستفيد منها كثير من طلاب العلم في حاضر الوقت وماضيه فقد اشتهر بالماضي بالمسجد النبوي الشريف « الكتاتيب » الذي يتلقى فيه الصبيان العلم ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة وتلقي مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية وبعض العلوم الأخرى⁽²¹⁾.

بلغ عدد الكتاتيب في المسجد النبوي الشريف في عام 1333هـ - 1914م نحو (8) كتاتيب وموقعها في الجهة الشمالية من المسجد، وقد تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى⁽²²⁾. وقد بقيت هذه الكتاتيب تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية في حدود إمكانياتها المادية والفنية والبشرية وفي ظل وظيفتها الدينية، ومع بداية العهد السعودي عام 1344هـ/ 1925م، أولتها الحكومة السعودية عنايتها والإشراف عليها وتوجيه المعلمين فيها، وتخصيص الرواتب لهم، وتعليمهم طرق التدريس الحديثة، ومتابعة الالتزام بذلك⁽²³⁾.

إن عدد الكتاتيب بالمدينة المنورة في عام 1349هـ/ 1930م ثلاثة كتاتيب أميرية في داخل المسجد النبوي الشريف، ومجموع التلاميذ بها (165) تلميذاً، وعدد المعلمين فيها (6) معلمين، حيث تطلب كتّاب

الشيخ محمد التابعي مساعدة 3 معلمين غيره. والجدول الآتي يوضح ذلك:

الكتاتيب الأميرية والأهلية بالمدينة المنورة في عام 1349هـ/1930م⁽²⁴⁾:

نوع الكتاتيب	المؤسس أو المعلم	الموقع	عدد التلاميذ
الأميرية	الشيخ محمد الرحالي	داخل المسجد النبوي الشريف	33
	الشيخ مصطفى فقيه	داخل المسجد النبوي الشريف	19
	الشيخ محمد التابعي	داخل المسجد النبوي الشريف	113
الأهلية	الشيخ عبده أبو خضير	جوار المسجد النبوي	7
	الشيخ عبيد السناري	جوار المسجد النبوي	11
	حامد شيخ	العنبرية	26
	الشيخ عبدالقادر بشير	العنبرية	42
	الشيخ حامد بن الشيخ سعيد	المناخة ^{(25)*}	43
	الشيخ حسن والشيخ خليل	حوش التاجوري	35
	المجموع		329

وعدد الكتاتيب خارج المسجد النبوي الشريف وما حوله ستة كتاتيب، عدد التلاميذ فيها (164)، ومجموع المعلمين (7) معلمين⁽²⁶⁾. واستمرت الكتاتيب تقوم بدورها حتى عام 1356هـ/1937م، ولم يطرأ أي زيادة على عددها بل حدث زيادة طفيفة جدا في عدد التلاميذ، حيث بلغ عددهم في عام 1356هـ/1937م (343) تلميذاً أي بزيادة 14 تلميذاً فقط خلال سبع سنوات، وترى الباحثة أن هذه الزيادة الطفيفة تقابلها زيادة هائلة في عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس الحكومية في ذلك الوقت.

الكتاتيب الأميرية والأهلية بالمدينة المنورة في عام 1356هـ/1937م -⁽²⁷⁾.

اسم صاحب الكتاب	الموقع	عدد التلاميذ
الشيخ محمد التابعي والشيخ عاشور	داخل المسجد النبوي	104
الشيخ مصطفى فقيه والشيخ مصطفى بن العيفة	داخل المسجد النبوي	40
الشيخ حسين عويضة	خارج المسجد النبوي	8
الشيخ خليل أبو تيج	خارج المسجد النبوي	25
الشيخ حامد شيخ	العنبرية	40
الشيخ حامد سعيد	المناخة	25
الشيخ عبدالقادر جبرتي	المناخة	50
الشيخ إبراهيم الكتامي	المناخة	25
الشيخ حسن تاج الدين	حوش التاجوري	26
المجموع		343

وختاماً يمكن استظهار مدى عناية الملك عبدالعزيز «رحمه الله» بالتعليم الأهلي المتمثلة في الكتاتيب في المدينة المنورة من خلال هذه الإحصائية والتي تمثل التزايد المستمر لتلك الكتاتيب منذ دخول الملك المؤسس للحجاز إلى وفاته، والكتاتيب في بلادنا هي النواة الأولى للتدريس. وتعتبر الخطوة الممهدة في الحجاز للمدارس الأهلية⁽²⁸⁾، واستمرت الكتاتيب في المدينة المنورة تقوم بدورها حتى عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، ثم أخذت في التلاشي والانهاء مع انتشار المدارس النظامية الحكومية التي أسستها الدولة، ووفرت لها المناهج المناسبة، والمباني المدرسية الحديثة، والمكافآت التشجيعية، والمعلمين المؤهلين، وهذا ما شهدته المدينة المنورة من نهضة كبرى وشاملة نتيجة للتطور الاقتصادي الذي شهدته المملكة في ذلك الوقت⁽²⁹⁾.

كتاتيب البنات في المدينة المنورة:

وكان هناك كتاتيب للطالبات في المدينة المنورة في بيوت المدرسات، يتعلمن فيها القرآن الكريم تلاوة، مع حفظ بعض الأجزاء، وأحياناً حفظ القرآن كاملاً، وذلك حسب رغبة ولي أمر الطالبة، علاوة على تعليمهن القراءة والكتابة وبعض أحكام الصلاة والصيام والحساب والسيرة النبوية والأشغال اليدوية المنزلية⁽³⁰⁾. ومن كتاتيب الطالبات في عام 1349هـ - 1931م.

1. كتاب فخرية بالشونه ودرس فيه 35 طالبة .
2. كتاب فاطمة هانم في الساحة، ويدرس فيه 45 طالبة. وكان الإقبال كبيراً على كتاتيب الطالبات؛ لعدم وجود مدارس لهن، ويدل على ذلك تقرير شيخ طائفة الفقهاء والقراء بالمدينة المنورة إلى معتمدية المعارف بها في ١6 شوال 1356هـ - 19 ديسمبر 1937م. وقد ورد فيه أعداد الطلاب في الكتاتيب 353. والطالبات ٥٠٠ يدرسن في ستة كتاتيب؛ هي:
1. كتاب فخرية هانم .
2. كتاب الشيخة أمينة .
3. كتاب الشيخة فاطمة هانم .
4. كتاب الشيخة فاطمة خليل .
5. كتاب الشيخة سلمى بنت الحاج سليم⁽³¹⁾.
6. كتاب الشيخة زهرة النارية⁽³²⁾.

ومن الأمور السلبية في دراسة الكتاتيب أن الحفظ كان عماد الدراسة فيها لا التفكير⁽³³⁾. وكان تعليم البنات في المدينة المنورة كما هو الحال بالنسبة لتعليم الذكور كان أهلياً، فتوجد الكتاتيب التي تعلم البنات القراءة والكتابة، ثم تطورت الكتاتيب إلى ما يشبه المدارس الأهلية⁽³⁴⁾، ومن هنا سيتم استعراض أهم الكتاتيب النسائية التي ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز «طيب الله ثراه» في المدينة المنورة .

كتاتيب البنات في المدينة المنورة:

- 1- كُتِّبَ الشيخة زينب مغربية، حوش درج.
- 2- كُتِّبَ الشيخة التركية معمرة، باب بصري.
- 3- كُتِّبَ الشيخة فاطمة هانم بنت يوسف، الساحة.

- 4- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سلمى مبارك، حوش الراعي.
 - 5- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زهرة سنارية حرم حسن تاج الدين، زقاق البدور.
 - 6- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عائشة بنانية، الساحة حوش التكرانة.
 - 7- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فاطمة بنت الشيخ خليل التكرونية، حارة الأغوات.
 - 8- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ خديجة النظيفة، حوش التاجوري.
 - 9- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سلمى بنت محمد عابد، الجديدة.
 - 10- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فاطمة بنت أحمد التكرونية، باب المجيدي رباط عزت باشا.
 - 11- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زوجة الشيخ الشامي، زقاق العاصي في القشاشي.
 - 12- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عابدة، باب المجيدي بجوار بيت الشاعر.
 - 13- كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فخرية هاشم بالشونة⁽³⁵⁾.
- وستحدث عن بعض هذه الكتابات بشيء من التفصيل:
- 1 - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فاطمة هانم بنت يوسف الشامية:
- وقد أنشأته في عام 1341هـ/1923م، وكان عدد طالباتها 95 طالبة، ويقع في الساحة بجوار السلطانية، وبجوار حوش التكرانة⁽³⁶⁾.

2- كُتِّبَت الخوجة زينب مغربية:

وهي زينب حسن عبد الله مغربل، زوجة الشيخ طه محمود مغربل، فتحت الكُتَّاب في عام 1362هـ/1943م. وقد وجد بخط يدها ما يفيد أنها درست على يد الخوجة فخرية هانم القراءة والكتابة، وأجزاء من القرآن الكريم، وكان يُعرف اسم هذا الكُتَّاب باسم: كُتَّاب الفوز والنجاح، وبعد انتقال الخوجة فخرية إلى مكة المكرمة، قررت السيدة زينب حسن مغربل فتح كُتَّاب في المدينة يحمل اسم: مدرسة الفوز والنجاح وهي مدرسة أهلية تحت إشراف مديرية المعارف، وذلك عام 1362هـ/1943م، ولكن ظلت المدرسة تُعرف بكُتَّاب المغربية، وكان يقع في العنبرية، مقابل مبنى إدارة المالية سابقاً، وبلغ في إحدى السنوات عدد تلميذاته (100) تلميذة.

3- كُتِّبَت الخوجة فخرية هانم:

ويقع الكُتَّاب في الشونة بالمدينة المنورة، وعدد طالباتها 120 طالبة، وقيل 200 طالبة. وهي امرأة قدمت من تركيا، هذا في مرحلة تطور الكُتَّاب إلى مدرسة شبه نظامية، حيث أصبحت الدراسة فيه إلى الصف السادس الابتدائي، إلّا أن جميع الصفوف كانت تضمها قاعة واحدة. أمّا عن المواد فلم تعد قاصرة على القرآن والتجويد، بل تنوعت إلى قرآن وتجويد، مطالعة، تاريخ، حساب، الإنشاء العصرية، حسن سيرة، تهذيب وأخلاق، حسن خط، علوم وصحة⁽³⁷⁾.

ومن هنا فإن الواقع التاريخي يؤكد أن «الكتاتيب» لم تكن مقصورة على الطلاب فقط، وإنما وجدت أيضاً «كتاتيب» خاصة بالفتيات في عهد الملك عبدالعزيز «طيب الله ثراه» وقد بينا في السابق كيف كان اهتمام الملك بتعليم الفتاة .

مدة الدراسة في الكتاتيب:

لم يكن هناك سن محدد لدخول الكتّاب، إلا أنها في الغالب لا تقل عن خمس سنوات ومدة بقائه لا تقل عن سنتين كحد أدنى ولا تزيد عن ست سنوات كحد أعلى⁽³⁸⁾.

أدوات الطالب في الكتّاب:

وكانت أدوات الطالب في هذه الكتاتيب تتكون عادة من لوح خشبي يكتب عليه⁽³⁹⁾ المدرس للطالب الحروف أو الكلمات أو الجمل التي يدرسها، فإذا ما أجادها إتادة تامة يقوم الطالب بمسح اللوح في مكان خاص بالكتاب، وذلك بمادة تسمى المدر أو (المضر) مع الماء، حتى يكون جاهزاً لكي يكتب عليه المدرس الدرس الجديد .

وبجانب اللوح فإن الطالب يجب أن يكون لديه نسخة من القرآن الكريم، أو الجزء الذي يقوم الطالب بدراسته، وعادة لا يأخذ الطلاب هذه الألواح والمصاحف إلى منازلهم، وإنما يجب عليهم تركها في الكتاب، حتى لا تضيع أو تتعرض للتلف، علماً بأنه في بعض الكتاتيب لا توفر ألواح أو نسخ من القرآن الكريم كافية لجميع الطلاب، وإنما يتم تداولها بينهم. وكان في بعض الكتاتيب يستعمل قلم القصب والدواة (المحبرة)⁽⁴⁰⁾.

ومن أهم الأدوات المستخدمة في الكتاتيب في الحجاز، في عهد الملك عبدالعزيز ما يلي:
اللوح: عبارة عن ألواح خشبية بأحجام مختلفة، فالطلاب الصغار تكون ألواحهم عرضاً وطولاً في حدود 40×30 سم، وأما الطلبة الكبار فتكون مساحة ألواحهم عرضاً وطولاً 70×30 سم، وللألواح أشكال هندسية خاصة، فهي غالباً ما تكون مستطيلة يزين رأسها مدرجان ينتهيان إلى رأس مثقوبة يوضع بها خيط متين لتعليق اللوح في الكتاب والمنزل⁽⁴¹⁾.

مادة المضر: وهي شبيهة بالمضير، تباع عند العطارين، وتوجد عادة بجوار حوض الماء، ليمسح بها اللوح بعد غسله بالماء⁽⁴²⁾.

الحبر الأسود: وهو عبارة عن قشور صغيرة (حبر جاف) يباع عند العطارين، يحل بالماء ويوضع في قوارير (المحبرة) لاستخدامه في الكتابة بواسطة قلم القصب.

دواة الحبر (المحبرة⁽⁴³⁾): وهو الوعاء الذي يحفظ به الحبر وتصنع من الخشب قديماً، ثم من الطيب المحروق في أفران الفخار، ثم أصبحت تصنع من المعادن (الصفير) وهي الآن تصنع من الزجاج.

القلم: وهو انابيب من القصب المصري تستخدم بعد بريها بالموس وقطعها بشكل مائل، وهي مختلفة الأحجام.

المديّة: وهي السكين التي تبرى بها الأقلام.

الليفة: قطعة من الحرير تبلل بالحبر فتظل محتفظة به، ومن ثم يغمس فيها البوص للكتابة دون أن يقطر الحبر على اللوح.

حوض الغسيل:

وعاء مملوء بالماء يغسل فيه الطلاب ألواحهم من الكتابة ويكون في الغالب منحوتاً من الحجر، عرضه لا يتجاوز 50 سم، وطوله لا يتجاوز المتر وعمقه يبلغ من 25-50 سم.

الفلكة:

وهي عبارة عن عصا غليظة من الخشب قطرها 4-5 سم وطولها 1.5 متر، وعلى بعد 30 سم من طرفي الفلكة توجد حلقتان من الحديد يربط بينهما سير من جلد، أو قماش⁽⁴⁴⁾.

مناهج الدراسة في الكتاتيب:

كان المنهج الدراسي في كتاتيب الحرمين الشريفين وما حولهما أي في جدة والطائف، يبدأ بتعليم الحروف الهجائية، ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة، ثم دراسة أرقام الحروف الأبجدية، ويتم ذلك بأن يقوم مدرس الكتاب بكتابة ثلاثة أو أربعة حروف من الحروف الهجائية على لوح الطالب، وكل حرف مكتوب ثلاث مرات وعليه علامة التشكيل مثل: ب، ب، ب. ويطلب من الطالب قراءة ذلك عدة مرات حتى يحفظها، فإذا حفظها قام المدرس بكتابة الحروف الأخرى على حسب الترتيب السابق حتى يتم الطالب حفظ جميع الحروف الهجائية، بالحركات. ويعرف ذلك بالقاعدة البغدادية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكتابة وتركيب الكلمات، وفي نفس الوقت يقوم الطالب بتعلم بعض السور القصيرة من القرآن الكريم، وأول سورة يبدأ بقراءتها عادة سورة (الفاتحة) ثم يستمر في قراءة قصار السور حتى يتم جزء عم، وبعدها ينتقل إلى الأجزاء التي تليه حتي نهاية القرآن الكريم، وتكون دراسته للقرآن الكريم بطريقة تنازلية، فيبدأ بالجزء الثلاثين، وينتهي بالجزء الأول من القرآن، علماً بأن الطفل قد لا يكتفي بدراسة القرآن فقط، وإنما يقوم بحفظ جزء أو أكثر منه، وربما يقوم بحفظ القرآن الكريم بكامله، وهذا يعتمد على مقدرة الطفل على الاستيعاب، وإمكانات والده المادية⁽⁴⁵⁾. وفي معظم الكتاتيب يجب على الطالب أن يجيد القراءة والكتابة، وكانت الكتاتيب تعلم المواد الأساسية يأتي في مقدمتها القرآن الكريم⁽⁴⁶⁾، ومعرفة مبادئ الحساب (كالأعداد، ومسائل الجمع والطرح والضرب والقسمة) بجانب حفظه للقرآن بكامله أو أجزاء منه، وتجويده، وتكون الدراسة في شكل جماعات أحياناً، أو في شكل أفراد، على حسب إمكانيات معلم الكتاب، أما بالنسبة لتعليم الخط فإنه وجدت كتاتيب خاصة تقوم بتدريس الطفل الخط حتى يجيده إجادة تامة، ويقوم الطفل بالالتحاق بهذه الكتاتيب بعد أن يتم دراسة القرآن الكريم، على أن ذلك لم يكن قاعدة، وإنما وجدت كتاتيب وضعت ضمن مناهجها تدريس الطالب مادة تحسين الخط بجانب المواد الأخرى⁽⁴⁷⁾. ويمكن أن نستشف ذلك من قول الأستاذ عمر عبد الجبار حيث يقول: «ألحقني والدي مع أخي بكُتَّاب الشيخ عبد الله حمدوه قبل فك الحرف، كما يقولون، ولما اكتظ ديوان السمان بالطلاب انتقل من باب الزيادة إلى باب الباسطية في إحدى بيوت الأشراف، فأدخل الشيخ عبد الله حمدوه تحسينات على كتابه، إذ قسمه إلى صفوف، وقرر تعليم الحساب وتحسين الخط بجانب حفظ القرآن وتجويده. فازداد الإقبال على كُتَّاب الشيخ عبد الله حمدوه، وذاع صيته لاسيما بعد أن شاهد أولياء الطلبة إقبال فلذات أكبادهم على حفظ القرآن وتناوبهم في الإمامة بصلاة التراويح⁽⁴⁸⁾». ويعرف صاحب الكُتَّاب بين الأهالي في الحرمين بالفقيه أو المعلم أو الأستاذ أو الملا، أما الطلاب فكانوا يطلقون على هؤلاء اسم سيدنا أو أستاذنا، وهذه التسميات تختلف من منطقة إلى أخرى، أو من مدينة إلى أخرى، وكان صاحب الكُتَّاب يقوم بمهمة التدريس لجميع الطلاب في كُتَّابه، وقد يستعين بعض أصحاب الكتاتيب بمدرس آخر يعاونه في مهمة التدريس، يطلق عليه عادة اسم (أستاذ) بينما الغالب هو أن يستعين صاحب الكتاب بالمفتوقين من طلابه لتدريس الطلاب المبتدئين ويطلق على الطالب هذا اسم

(العريف) وقد تصل استعانة صاحب الكُتَّاب بطلابه المتفوقين في أنه ينيب أحدهم للإشراف على الكُتَّاب في أثناء غيابه، أو قد يرسلهم لأداء بعض حوائجه.

وسائل العقاب في الكُتَّاب:

وشيخ الكتاب عادة يحمل قلباً طيباً إلا أن بعضهم يتصف بالشدة والصرامة يعاقب الطلاب على أنفه الأخطاء أو الحركات، وكانت الفلقة أو الفلكة والعصا هما وسيلة العقاب للطلاب المخطئ أو الكسلان، كما أن المدرس كان يحمل العصا في يده دائماً يلوح بها يميناً وشمالاً ليرهب بها الطلاب الصغار، فلا عجب إذا هرب الطلاب من الكُتَّاب وكرهوا أو تأمروا على معلمهم، مما ولد لديهم عدم الرغبة في مواصلة دراستهم، وأصبحوا يفضلون الهروب إلى الشوارع للعب والمرح على الدراسة⁽⁴⁹⁾.

التقويم والامتحانات:

لم يكن هناك امتحان رسمي محدد ومنظم في نهاية العام أو في نهاية المرحلة لتحديد مستوى التحصيل العلمي فالشيخ على دراية تامة بطلابه فلو سألته عن طلابه لحدد لك مستوى التحصيل عند كل منهم⁽⁵⁰⁾. ويعتبر الأسبوع في الكُتَّاب وحدة تعليمية يراقب فيه معلم الكُتَّاب أعمال طلابه، فهو يقوم في نهاية الأسبوع أو حين العودة من إجازة نهاية الأسبوع بمراجعة ما سبق دراسته للكشف عن مستوى تحصيلهم⁽⁵¹⁾.

الصرافة والقلابة في الكتاتيب:

عندما يتم الطالب حفظ القرآن الكريم كاملاً أو بعض الأجزاء منه ودراسة البعض الآخر، جرت العادة في كتاتيب الحرمين، أن يقام احتفال كبير بهذه المناسبة السعيدة، يحضره جميع الطلاب في الكُتَّاب، ويقيم والد الطفل حفل شاي أو وليمة يدعو لها جميع طلاب الكتاب وأستاذهم. وفي صباح يوم الاحتفال، يجتمع الطلاب في الكتاب، وقد لبس كل واحد منهم أحسن ملابسه. أما الطالب المحتفى به، فإنه يلبس ثوباً جديداً اعده له اهله، كما يلبس معلم الكتاب الجبة والعمامة، ثم يخرج الجميع من الكُتَّاب يتقدمهم معلم الكُتَّاب، وخلفه الطالب الذي حفظ القرآن أو بعضه، ومن حوله بقية طلاب الكُتَّاب ويسرون عبر شوارع المدينة في جولة قصيرة، وذلك للتعبير عن مدى الفرح والبهجة لدى الطالب وأسرته بهذا النجاح العظيم، وهذا الاحتفال في الواقع يشبه احتفالات التخرج في وقتنا الحاضر⁽⁵²⁾.

الختم:

ومن العادات القديمة، إذا حفظ الطفل فيها من القرآن جزء (عم) عملت له وليمة كبيرة⁽⁵³⁾. ويقام هذا الاحتفال عند ختم القرآن الكريم، وهو يشبه حفل الصرافة إلا أنه بشكل أوسع⁽⁵⁴⁾. والختم لا يختلف في مراسمه عن حفل الصرافة إلا بزيادة كبيرة للشيخ والعريف فيما يعطون من إكرامية وقد تستمر العطلة إلى ثلاثة أيام⁽⁵⁵⁾.

اليوم الدراسي والإجازات في الكتاتيب:

«كانت الدراسة في الكتاتيب تبدأ في الصباح الباكر، وتستمر حتى قبيل صلاة الظهر ثم يعود الطلاب إلى منازلهم تناول طعام الغداء، والراحة لمدة ساعة، يعودون بعد ذلك لمواصلة الدراسة حتى أذان العصر. وفي بعض الكتاتيب يواصل الطلاب دراستهم حتى أذان المغرب، أما بالنسبة للعطل فهناك عطلة أسبوعية هي بعد ظهر يوم الخميس ويوم الجمعة بكامله، وإجازات دينية في العيدين وفي المناسبات الدينية والرسومية،

وفي أيام هطول الأمطار. كما تمنح عادة إجازة للطالب عندما يتم أحد طلاب الكتّاب حفظ جزء من القرآن أو كله، فيخرج الطلاب جميعهم في معية الطالب المحتفل به، ويتوجهون إلى منزله، حيث يتناولون الأطعمة أو الحلوى التي يعدها والد ذلك الطالب احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة⁽⁵⁶⁾. ولا يعني هذا الكلام أن جميع الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ذات مستوى بسيط، وإنما نلاحظ أن معظم الكتاتيب في هذه المنطقة كانت ذات مستوى دراسي عالي جداً مكنها من أداء رسالتها التعليمية بصورة جيدة، فساهمت بذلك مساهمة كبيرة في رفع المستوى الثقافي بين أبناء سكان المنطقة، كما أنها ركزت على تعليم كتاب الله تلاوة وحفظاً مع التجويد، ودراسة بعض العلوم الدينية والحساب والخط، وقد تخرج من هذه الكتاتيب أعداد كبيرة من الطلاب الذين التحقوا بحلقات الدروس في الحرمين الشريفين، وفي المساجد الأخرى في المدينة المنورة، والمدن الأخرى في منطقة الحجاز، وأصبح هؤلاء الطلاب فيما بعد من العلماء المتخصصين في مختلف الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وكتب التاريخ مليئة بتراجم هؤلاء العلماء الأفاضل الذين يشار إليهم بالبنان⁽⁵⁷⁾.

الواقع التربوي للكتاتيب:

أن الحجاز كانت تفوق غيرها من المناطق من حيث نشاط الحركة العلمية فيها⁽⁵⁸⁾، فقد نشطت الحركة التعليمية في عهد الملك عبد العزيز بشكل واضح⁽⁵⁹⁾، وقد أعجب الملك عبدالعزيز بالتعليم الحجازي⁽⁶⁰⁾، حيث أنشأ مديرية المعارف للاهتمام بالكتاتيب والمدارس الأهلية، ولذا أسهمت الكتاتيب في الواقع التربوي إسهاماً كبيراً، ويتمثل هذا الإسهام في كونها لقيت دوراً مهماً في التخفيف من الأمية والتقليل من انتشارها في بعض المجتمعات الإسلامية، وللكتاتيب فضل كبير على الواقع التربوي؛ لأنها مهدت الطريق للتحاق بالمدارس والمعاهد⁽⁶¹⁾.

الحلقات العلمية في المسجد النبوي الشريف:

وما أن استقرت الأمور في منطقة المدينة المنورة خاصة، وفي الحجاز عامة، وانتظم عقد المملكة حتى بدأت الحياة الثقافية في المدينة المنورة تستعيد عافيتها، وتتجه نحو التطور والارتقاء شيئاً فشيئاً مواكبة لتطور جوانب الحياة الأخرى، الاقتصادية والاجتماعية ومتفاعلة معها، والتي استفادت كلها من حالة الأمن والطمأنينة التي انتشرت في سائر أنحاء المملكة، وظهرت بوضوح أشد في المدينة ومكة وفي طريق الحجاج بعامة، والتي حرص الملك عبدالعزيز على تأمينها ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، فتهيأت لمحاضن الثقافة ظروف رعاية ما تحتضنه، ومنحت المبدعين والمثقفين وطلاب العلم فرصة تنشيط إبداعهم وزيادة عطاءاتهم أو مكتسباتهم من معين الثقافة، وتتمثل المحاضن الرئيسية للحياة الثقافية حين ذاك في⁽⁶²⁾ حلقات العلم في المسجد النبوي، والتعليم الرسمي والأهلي، والصحافة، والمجالس الثقافية بما فيها من مثقفين وأدباء⁽⁶³⁾. ويقوم الطالب باختيار العلم الذي يأنس في نفسه الاستعداد لدراسته، وحلقة الشيخ الذي يحس أن بإمكانه الاستفادة منه، وتطيب له الدراسة على يديه، كما أن لديه الخيار في عدد المواد التي يدرسها، وكلما أتقن الطالب علماً على يد شيخ منحه إجازة تشهد بإتقانه، وقد تكون الإجازة مقصورة على كتاب من أمهات الكتب، كما قد تكون مصحوبة بسند الشيخ، وهو بهذه الصورة يطبق نظام تعليمياً من أرقى الأنظمة التعليمية المعاصرة، ويزيد عليها في عدة أمور: منها أن المدرس لا يكتفي فيه بحيازته على وثيقة دراسة فقط،

بل لا بد أن يجتاز مقابلة علمية يجريها له كبار علماء المسجد النبوي، ويزيد عليها أيضاً أن الهمينة الإدارية تكاد تكون مفقودة على الطالب والمدرس وأن لم يكن يدفع للمدرسين - في الغالب - أي راتب أو مكافأة، بل كان الاحتساب وحب العلم وأهله الدافع الأول لهؤلاء المعلمين وطلابهم⁽⁶⁴⁾.

العلوم التي تدرس في المسجد النبوي الشريف:

ان الوظيفة الدينية لم تمنح المدينة مركزاً مدنياً عالمياً فحسب بل هي قد حفظتها مذكورة مشهورة، فقد كان المسجد نواة هذه الوظيفة وقلبها، فمع نبض حلقاته ومدارسه استمرت المدينة تؤدي وظيفتها⁽⁶⁵⁾. وفي الحرم النبوي الشريف فقد كانت تقام فيه الكثير من الحلقات العلمية، التي كانت تدرس فيها العلوم الدنيوية، وسيتم التطرق لأهم العلوم التي كانت تدرس في الحرم النبوي في ذلك الوقت، ويذكر الأستاذ علي حافظ أنه في أيام دراسته في المسجد النبوي كانت العلوم التي تدرس فيه العلوم الإسلامية والعربية والرياضيات والفلك والتاريخ، تدرس في نحو عشرين حلقة على يد علمائه وفقهائه من بعد صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، وذكر بعض أسماء أولئك العلماء من بينهم: عبدالجليل برادة إبراهيم اسكوي محمد الطيب الانصاري عبدالرحمن الافريقي محمد علي تركي محمد الزغبوي وحسن الشاعر ومحمد شويل وجعفر الكتاني⁽⁶⁶⁾. ومن خلال هذا الفصل يتبين لنا أن القرن الرابع عشر الهجري وبداية العهد السعودي عام 1344هـ/1925م كان مورداً لطلاب العلم والعلماء، وقد قامت المملكة العربية السعودية منذ دخول الملك عبدالعزيز المدينة المنورة عام 1344هـ/1925م بتشكيل مجلس الإشراف على شئون التدريس في الحرم النبوي الشريف⁽⁶⁷⁾. في حين بقيت حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف على ما هي عليه، إلا أن نمط التعليم في الكتاب قد توارى ولم يعد له اليوم أي أثر، وظل تعليم القرآن الكريم يحظى بعناية أبناء المدينة المنورة سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الأهلي، ومن أهم الحلقات العلمية في المدينة المنورة:

1- حلقة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الافريقي الفلاني 1326_1377هـ-/1908م-1957م:

يعتبر الشيخ عبد الرحمن الافريقي من أكثر مشايخنا في المدينة المنورة في علم الحديث يقول شيخنا المحدث الشيخ عمر بن محمد فلاته عن شيخه عبد الرحمن الافريقي: «وأشهد بالله تعالى أنه كان يجلس للتدريس من الساعة الثانية صباحاً على وجه التقريب إلى آذان الظهر جلسة واحدة لا يتخللها كل ولا ملل، ثم يعود بعد صلاة الظهر ليعقد درساً لبعض الطلاب الذين يشغلهم الضرب في الاسواق صباحاً، وبعد صلاة العصر يرتاد بعض الطلاب بيته للحصول والتعليم، وبعد صلاة المغرب وصلاة العشاء يقوم بالدرس العام في المسجد النبوي الشريف»⁽⁶⁸⁾.

2- حلقة الشيخ حسن بن محمد المشاط:

ولد سنة 1317هـ/1899م في حي القرارة بمكة المكرمة. وعالمنا هذا الشيخ من أبناء مكة المكرمة وعلمائها وكان شيخنا الفاضل دائم الصلة بالمسجد النبوي الشريف يأتيه سنوياً ويلقي بعض الدروس مدة وجوده بالمدينة في الحديث وله تلاميذ يحرسون على الأخذ عنه كلما جاء وكانت دروسه بالمدينة في الحديث النبوي الشريف وكان مجلسه في المسجد النبوي شرقي الحجرة المشرفة خلف المكبرية في محاذة الروضة الشريفة. وافته المنية رحمه الله يوم الاربعاء السابع من شوال سنة 1399هـ/1979م بمكة، ودفن بالمعلاة

بعد أن تقلد عدة وظائف منها: التدريس إلى القضاة إلى هيئة التمييز ثم عضو في مجلس الشورى وكل ذلك مع المداومة على التدريس بالحرمين الشريفين⁽⁶⁹⁾.

من خلال حديثنا عن الحلقات العلمية في الحرم النبوي الشريف يتبين لنا أن الحلقات في المدينة المنورة كان لها دورٌ عظيمٌ في خدمة التعليم الاهلي، وقد ظهر هذا في التدريس بالمسجد النبوي الشريف، تبين لنا مدى اهتمام الملك المؤسس بالتعليم الاهلي مثله مثل التعليم الحكومي وسنعرض بشيء من التفصيل لهذا الدور.

علماء المسجد النبوي الشريف:

لقد مر تاريخ المسجد النبوي الشريف في عهد الملك عبدالعزيز «طيب الله ثراه» بمراحل عدة ابتدأت بالكتاتيب التي ظهرت فيه ثم الحلقات العلمية والتي كان لها الدور البارز في إخراج علماء لهم أعمال جليلة في خدمة التعليم في المسجد النبوي الشريف ومن أهم هؤلاء العلماء الذين ظهروا في ذلك الوقت، وسنقتصر على اربعة من هؤلاء العلماء وهم كالتالي:

1- صالح بن محمد الأخيمي(ت:1415هـ/1994م):

مولده ونشأته: هو الشيخ صالح بن محمد بن محمد كمال الدين الأخيمي، ولد بالمدينة النبوية في شهر محرم عام 1331هـ/1913م، ونشأ يتيماً، وتولت رعايته والدته، فألحقته بالكتاتيب منذ نعومة أظافره، حتى برع في العلوم الشرعية والعربية والرياضيات والفلك. والتحق رحمه الله بالتدريس في بداية شبابه، ثم ترقى حتى أصبح مساعداً لمدير التعليم في المدينة النبوية⁽⁷⁰⁾.

2- الشيخ أبو بكر التنبكتي:

هو أبو بكر محمد بن أحمد الدسوقي الشهير بالتنبكتي، وهو ممن أوفدتهم أفريقيا إلى المدينة المنورة عام 1317هـ/1899م، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه ودرس وحصل بالمدينة حتى عُيِّن مدرسا بالمسجد النبوي الشريف، وبادر الحديث بالمدينة المنورة⁽⁷¹⁾. وفي سنة 1356هـ / 1937م أجازته الشيخ شيخه في ذلك الوقت محمد الطيب الانصاري في التدريس وانصرف لتدريس التفسير والتوحيد والحديث، فكان المدرس المربي والعالم الموجه أكسبه الله حب كل من عرفه، والقبول عن كل من لقيه وكان محبباً لأهل المدينة، وتوفي شيخنا رحمه الله سنة 1386هـ / 1966م ودفن بالمدينة المنورة⁽⁷²⁾.

3- الشيخ عبد الغني بن عثمان مشرف:

ولد الشيخ عبد الغني في المدينة المنورة في شهر رمضان من عام 1303هـ / 1886م⁽⁷³⁾ بحوش منصور، وفي عام 1358هـ / 1939م عُيِّن الشيخ مدرسا في حلقة علمية بالمسجد النبوي الشريف، ثم اختير ليكون مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية، وبعد ستة أشهر طلب للتدريس في مدرسة النجاح الاهلية من قبل مؤسستها الاستاذ عمر عادل التركي⁽⁷⁴⁾، وكان يختصر بإلقاء دروس الفقه والتوحيد، وفي عام 1365هـ / 1946م صدر الامر السامي الكريم بتعيينه قاضيا لمحكمة مدينة ضباء، وظل في المدينة حتى توفاه الله في شهر رمضان سنة 1397هـ/1977م، وله عدة مؤلفات منها كتاب هداية الفارض في علم الفرائض⁽⁷⁵⁾.

4- الشيخ عمار الجزائري:

هو فضيلة الشيخ المحدث السلفي (عمار بن عبدالله بن طاهر بن أحمد الهلالي الجزائري) ولد عام 1316هـ / 1898م في الجزائر، وتخرج من جامع الزيتونة سنة 1341هـ/1923م، وهاجر الى المدينة المنورة سنة

1352هـ/1934م، فاستقبله العلماء ورحبوا به، والتف حوله طلاب العلم من المدينة المنورة ومن المهاجرين إليها، ودرس الشيخ عمار بالمسجد النبوي الشريف، ودار الحديث، ودارا العلوم الشرعية. وقد سجل كلمة شكر وعرفان بالجميل للملك عبدالعزيز رحمه الله لما لقي منه من عناية وتكريم، وانتقل الى رحمة الله الشيخ عمار الجزائري في المدينة المنورة بتاريخ 5-28-1389هـ/ 8-11-1969م⁽⁷⁶⁾.

المدارس الأهلية بالمدينة المنورة:

اهتم الملك عبد العزيز بالمدارس الأهلية التي كانت قائمة في الحجاز، واهتم بها وبالمدارس التي أحدثت فيما بعد، إيماناً منه بأن نهضة بلاده وتقدمها لا يكون إلا عن طريق التعليم⁽⁷⁷⁾. إن المؤرخ لتاريخ التعليم في المدينة المنورة لا يمكنه أن يتجاوز الدور الكبير الذي لعبه التعليم الاهلي في حركة النهضة العلمية بالمدينة المنورة، وكذلك لا يمكنه أن يغفل الدور التعليمي الذي قام به الوافدون والمسلمون الذين استقروا بهذه البلد الطيبة في نشأة وتطوير التعليم الأهلي، وإذا كانت معظم الدراسات تركز على التعليم الحكومي وتطويرة؛ لأنه التعليم الأكثر حجماً والأكثر أثراً في حياة المملكة، إلا أن التعليم الاهلي قد لعب ومازال يلعب دوراً مؤثراً في حاضر ومستقبل التعليم بالمملكة.

ومنذ أن قامت الدولة السعودية عام 1351هـ/1932م وهي تشجع وتحضن المدارس الأهلية التي كانت موجودة آنذاك ويعد التعليم الأهلي سمة من سمات التعليم البارزة في المملكة والدولة تقدم لها الدعم المالي وكافة التسهيلات الممكنة حتى تساعد على البقاء والتوسع، فقد كان الملك عبدالعزيز منذ أوائل عهده يولي المدارس الأهلية القائمة عنايته ورعايته، وعندما تحولت مديرية المعارف العامة إلى وزارة للمعارف عام 1373هـ/ 1953م استمرت في اهتمامها بالمدارس الأهلية للبنين والبنات فكتفت عمليات الإشراف عليها فنياً وقدمت لها المساعدات المالية والعينية والإدارية، وكان هذا الإشراف والمتابعة جزءاً من أعمال إدارة الثقافة الشعبية بجهاز وزارة المعارف⁽⁷⁸⁾، وتنتشر بمنطقة المدينة المنورة خدمات التعليم الأهلي للبنين للمراحل كلها في محافظة المدينة المنورة، وفيما يأتي البيانات التفصيلية لهذا النوع من خدمات التعليم.

ومن المدارس الأهلية في المدينة المنورة :

1- مدرسة العلوم الشرعية:

نشطت الحركة العلمية في المدينة المنورة عندما أنشئت مدرسة العلوم الشرعية، كمدرسة أهلية ثم أنشئت الكتاتيب لتعليم البنات، وقد تطوع بهذا العمل بعض المحبين للخير والعلم من أبناء المدينة المنورة⁽⁷⁹⁾. فأسس مدرسة العلوم الشرعية أحمد الفيض أبادي⁽⁸⁰⁾ في محرم عام ١٣٤١هـ/ 1923م في أواخر حكم الأشراف⁽⁸¹⁾، بجوار المسجد النبوي، وقد أقفلت في أواخر عهد الأشراف بتهمة الوهابية، وأعيد فتحها مع بداية الحكم السعودي للمدينة المنورة، وكانت أهداف المدرسة تنحصر في خدمة العلم في مختلف فروعه، وتعليم بعض الحرف الخفيفة؛ لذلك جعل في مقدمة المواد الدراسية القرآن الكريم وعلومه، ثم علوم السنة المطهرة، ثم علوم اللغة العربية، ثم الهندسة والحساب، وأنشأ إلى جانب ذلك فرعاً مختصاً بتعليم بعض الحرف والصناعات المختلفة⁽⁸²⁾. وقد مزج التعليم النظري بالتعليم اليدوي في مدرسة العلوم الشرعية، حيث أن التلاميذ قد اشتروا في بناء هذه المدرسة⁽⁸³⁾.

وكانت تضم (٢٣٦) طالباً في عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م، وبلغت أوج ذروتها في ظل حكم الملك عبد العزيز حين أصدر موافقته على النظام الأساسي للمدرسة في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م ومنهجها يختلف عن المدارس الابتدائية اختلافاً كلياً؛ لتركزها على تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أن تقسيم فصولها وأسماءها لم يكن متفقاً مع تقسيمات المدارس الأميرية وفصولها؛ فهي مقسمة إلى عدة شعب؛ هي: الشعبة التأسيسية: ومدة الدراسة فيها سنة، وتشمل ثلاثة فصول: أول - ثاني - ثالث، وشعبة القرآن الكريم والعلوم الدينية، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، وتشمل ستة فصول، وشعبة العلوم العربية العالية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتشتمل على أربعة صفوف واستمر العمل بالنظام الأساسي للمدرسة حتى صدور منهج الدراسة للمرحلة الابتدائية الصادر عن مديرية المعارف عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م فسارت عليه⁽⁸⁴⁾. وأنشئت المرحلة الابتدائية وفيها ثلاثة فصول وكانت مدرسة العلوم الشرعية تعلم بعض الصناعات والحرف؛ حيث يوجد فيها معمل لصب الحديد يعمل على الكهرباء، ومعمل لصناعة الأخشاب، ولها محلات وورش يعمل فيها طلابها ويتدربون فيها؛ لكي يتعلموا إلى جانب دراستهم عملاً شقيقاً. وافتتحت مطبعة بداخل المدرسة ليتعلم الطلاب عليها، ولتسد حاجتهم من المطبوعات ولقد حظيت باهتمام الملك عبدالعزيز الذي كان يقدم لها الإعانات المالية مع كل مناسبة وعند كل زيارة للمدينة المنورة، وهذا إن دل فإنه يدل على أن الملك عبدالعزيز يعطي الأولوية في جملة اهتماماته للتعليم، ولا زالت المدرسة تعمل إلى يومنا هذا؛ حيث ساهمت في تعليم الكثير من أبناء المدينة الذين شغلوا أعلى المناصب والوظائف القيادية بالمملكة العربية السعودية⁽⁸⁵⁾.

2- مدرسة دار الحديث:

أسسها الشيخ أحمد الدهلوي في عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م⁽⁸⁶⁾. بترخيص من الملك عبدالعزيز «طيب الله ثراه»، وتهتم بتدريس القرآن الكريم والحديث النبوي، ومدة الدراسة في الدار عشر سنوات. المرحلة الابتدائية أربع سنوات، والمرحلة المتوسطة أربع سنوات، والمرحلة العالية سنتان، وتعتمد في مواردها ومصروفاتها على ما يصلها من أهل الخير داخل المدينة المنورة وخارجها⁽⁸⁷⁾.

3- المدرسة الخيرية :

مؤسسها الشيخ محمد صالح عبد الفتاح شرف في عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م في منزل بسوق القماشه⁽⁸⁸⁾، وتقوم هذه الدراسة في الفترة الصباحية وكانت الدراسة فيها تسير على شكل حلقة، والتعليم يتم في المصحف وأجزائه، ويوجد بها فترة عصرية يغلب عليها دراسة العلوم الشرعية والحساب، وأغلقت المدرسة بعد وفاة مؤسسها عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م⁽⁸⁹⁾، وأنشئت بعدها العديد من المدارس؛ لحرص الملك عبد العزيز على استمرار التعليم وتطوره في جميع مناطق المملكة وعلى وجه الخصوص المدينة المنورة⁽⁹⁰⁾.

4- مدرسة التهذيب الخيرية:

أسسها الشيخ عبد الرحمن محمد العربي الإدريسي الحسني عام 1352 هـ / 1933 م⁽⁹¹⁾. حيث صدر الأمر السامي رقم 880 في 1352-7-5 هـ / 24-1933 م، وقد حصل مؤسسها على تصريح من الملك عبدالعزيز بتحويلها من كتاب إلى مدرسة التهذيب الخيرية⁽⁹²⁾. وهدف المدرسة تحفيظ القرآن، وتغذية الناشئة بالدروس الإسلامية. وتتكون من ستة فصول، منها فصلان تأسيسيان، وثلاثة فصول تحضيرية وفي عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

قرر مجلس الشورى تحويلها إلى المعارف بسبب ضعف مستواها العلمي، وقلة طلابها البالغ عددهم اثنين فقط⁽⁹³⁾.

5- مدرسة دار الأيتام :

أسسها الشيخ عبدالغني دادة عام ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م، وهو أحد تجار المدينة المنورة، بعد موافقة الملك عبدالعزيز الذي سر بالمشروع، وشكر الشيخ على عاطفته، وشرط عليه الالتزام بأحكام الشريعة، وأسست الدار عندما ساءت الأحوال الاقتصادية في المدينة وما حولها من البوادي من جراء انقطاع المطر، وجفاف الأعشاب، وهلاك الماشية والنتيجة من ذلك موت عدد كبير من الرجال الذين يتكون وراءهم أطفالاً كثيراً⁽⁹⁴⁾، فكثرت أطفال الأيتام في المدينة الذين يتسولون الحجاج، فقام الشيخ عبد الغني دادة بشراء دار في ضروان لإقامة الدار عليها، ومع تزايد الأطفال الأيتام في الدار نقلت إلى دار أكبر في حي المجيدي، وقامت الدار بإيواء الأطفال الأيتام وتعليمهم وتدريبهم حسب منهج المرحلة الابتدائية، وتعليمهم نوعاً من الصناعات الرائجة، وتحفيظ الطلاب القرآن الكريم لمن يرغب منهم في ذلك، وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات تحضيرية، وأربع سنوات ابتدائية، يحصل الطالب بعدها على الشهادة الابتدائية، وتولت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م الإشراف عليها⁽⁹⁵⁾. وقد بلغ عدد الطلاب عند تأسيس الدار (١٥٠) طالباً، وكان عددهم يزيد وينقص حسب الحاجة وحسب سعة الدار⁽⁹⁶⁾.

6- مدرسة العلوم السلفية :

مؤسس هذه المدرسة هو الشيخ رشيد أحمد بن إبراهيم بن عبد الحكيم الأنصاري المظفر نقري عام 1367هـ-١٩48م⁽⁹⁷⁾. بعد موافقة الملك عبد العزيز، وكانت المدرسة تضم المرحلة التحضيرية والابتدائية، بالإضافة إلى المرحلة العالية، وكانت مناهج المديرية العامة للمعارف مطبقة في المرحلتين التحضيرية والابتدائية، ثم خضعت المدرسة لمناهج الوزارة بعد ذلك، وزودها بالكتب وبعض المدرسين⁽⁹⁸⁾.

تعليم البنات في المدارس الأهلية في المدينة المنورة:

كان تعليم البنات في السابق ينحصر في تعليم الطالبة كيفية تلاوة وحفظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة. وكان يوجد قبل قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات في العهد السعودي عدد من المدارس الأهلية منها:

- 1- مدرسة تهذيب الاخلاق عام 1348هـ-1928م في الشونة.
 - 2- مدرسة فاطمة هانم عام 1350هـ-1930م في الساحة.
 - 3- مدرسة فاطمة التركية عام 1353هـ-1933م في زقاق الحبس.
 - 4- مدرسة الفوز والنجاح عام 1358هـ-1938م في العنبرية.
 - 5- مدرسة المقاصد الاسلامية عام 1365هـ-1945م في دار جونة.
 - 6- مدرسة بتول التكرونية عام 1366هـ-1946م بحوش نورة.
 - 7- مدرسة الهداية الاسلامية عام 1366هـ-1946م بباب المجيدي⁽⁹⁹⁾.
- ومن خلال التحدث عن تعليم الفتيات في عهد الملك المؤسس يمكن أن نقول: إن المدارس الأهلية والكتاتيب حافظت على التراث الاسلامي في تعليم الفتاة والاهتمام به⁽¹⁰⁰⁾.

ومن هنا يتبين لنا أن مسيرة التعليم الاهلي في المملكة العربية السعودية حافلة بالإنجازات وبها العديد من الكتابيب والحلقات التعليمية في المسجد النبوي الشريف والمدارس الأهلية التي تؤدي واجبها على خير وجه، فمن حق هذا الإنجاز أن نشيد به وبالذور التربوي التي قامت به هذه الكتابيب والحلقات والمدارس الأهلية بالحجاز. ويعتبر العهد السعودي عهد مصحوب بجهود حثيثة لدعم عناصر التنمية ومتطلباتها التي يقع التعليم على رأس قائمتها، فانطلق التعليم الاهلي بعد دخول الملك عبدالعزيز- طيب الله ثراه- إلى منطقة مكة المكرمة، حيث أصدر قرار إنشاء (مديرية المعارف العامة) في عام 1344هـ/1925م. وقد تولت المديرية آنذاك أمر رعاية المدارس القائمة، والارتقاء بمستوى التعليم فيها، بالإضافة إلى تعميم التعليم وإتاحته للجميع بتأسيس مدارس جديدة تضم مختلف المراحل الدراسية للبنين. وقد كان التعليم الاهلي يضم البنين والبنات من خلال الكتابيب، والحلقات التعليمية، والمدارس الاهلية بعد ذلك. وكانت خطواته واضحة في دلالاتها لنشر العلم والتعليم، فبعد دخوله مكة المكرمة مع رجاله وصحبه العلماء، مطأطئ الرأس خاشعاً متواضعاً شاكرًا لله عز وجل - ما يسر له، وأنجز على يديه.

الخاتمة:

وعلى وجه الجملة يمكن القول على ان حالة التعليم قبيل ظهور الملك عبد العزيز رحمه الله وتوحيد المملكة كانت متدهورة، وبعد دخوله الحجاز اصبح التعليم الاهلي في غاية التطور والنهضة. ويمكن القول بأن الكتابيب التي وجدت في الحجاز لم تقتصر على تعليم الأبناء فقط بل شملت الفتيات أيضاً وكان لهن نصيب منها. وقد ظهرت الكتابيب في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي و ازدهرت و انتشرت في مناطق كثيرة و هي تعد بمثابة المدارس الأولية غير النظامية. في الحجاز كانت الكتابيب القاعدة الأولى للتعليم الاهلي في مدنها و كانت منتشرة في أحيائها. وقد انتشرت الكتابيب في أغلب مدن الجزيرة العربية و كانت تركز على تدريس حفظ القرآن الكريم و القراءة و الكتابة. و كان الذي يتولى التعليم يطلق عليه (المطوع) وهو في الغالب من أئمة المساجد، ولا أحد ينكر دور «الكتابيب» كمؤسسة تعليمية تخرج في جنباتها كثير من الأجيال، الذين حفظوا القرآن الكريم وتعلموا قواعد القراءة والكتابة، وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة، ثم أصبحوا بعد ذلك قادة منابر وأصحاب فكر في المجتمع يشار إليهم بالبنان في مختلف التخصصات في قراءة القرآن بجميع رواياته، وأيضاً في القضاء والطب والهندسة والأدب والثقافة والفن. وفي الحجاز في العهد السعودي أدت الكتابيب دوراً فاعلاً في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في المدينة المقدسة بجانب حلقات العلم التي انتشرت بين جنبات المسجد النبوي الشريف. وحول ما يقوم به المسجد النبوي الشريف من دور عظيم نحو رسالة العلم والتعليم يقول الأستاذ - علي حافظ في كتابه فصول من تاريخ المدينة المنورة: « ولم يخل مسجد رسول الله ﷺ من حلقات العلم منذ عهده عليه الصلاة والسلام حتى يومنا هذا، وكانت تضم الكثير من طلاب العلم الذين يدرسون علوم الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية والرياضيات وعلوم الفلك والتاريخ »، وقد ظل المسجد على مدى تاريخه الطويل المنهل العذب والمدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطلاب العلم والتعليم وتخرجت منه أجيال عديدة من أبناء المدينة والمسلمين وبقيت ساحاته وجوانبه زاخرة بحلقات العلم حتى الآن وبالكتابيب حتى فترة متأخرة من القرن الرابع عشر الهجري.

تحمل التعليم الأهلي عبء التعليم لفترة سابقة لظهور التعليم النظامي، وقد كان للأهالي جهود ومبادرات فردية أسهمت في ظهور التعليم الأهلي في صورة مدارس أهلية أنشأها بعض رجالات الخير من أبناء البلاد وبعض المسلمين الوافدين. وقد كان انتشارها هذا بمنزلة الركيزة الأولى لقيام التعليم الحديث بالمملكة.

كما عادت المدارس الأهلية في المدينة المنورة إلى نهضتها، مستفيدة من تجربتها الطويلة في إنشاء وإدارة تلك المدارس بفضل الله ثم بفضل الأوقاف الخيرية التي كانت النواة الأولى لتأسيسها.

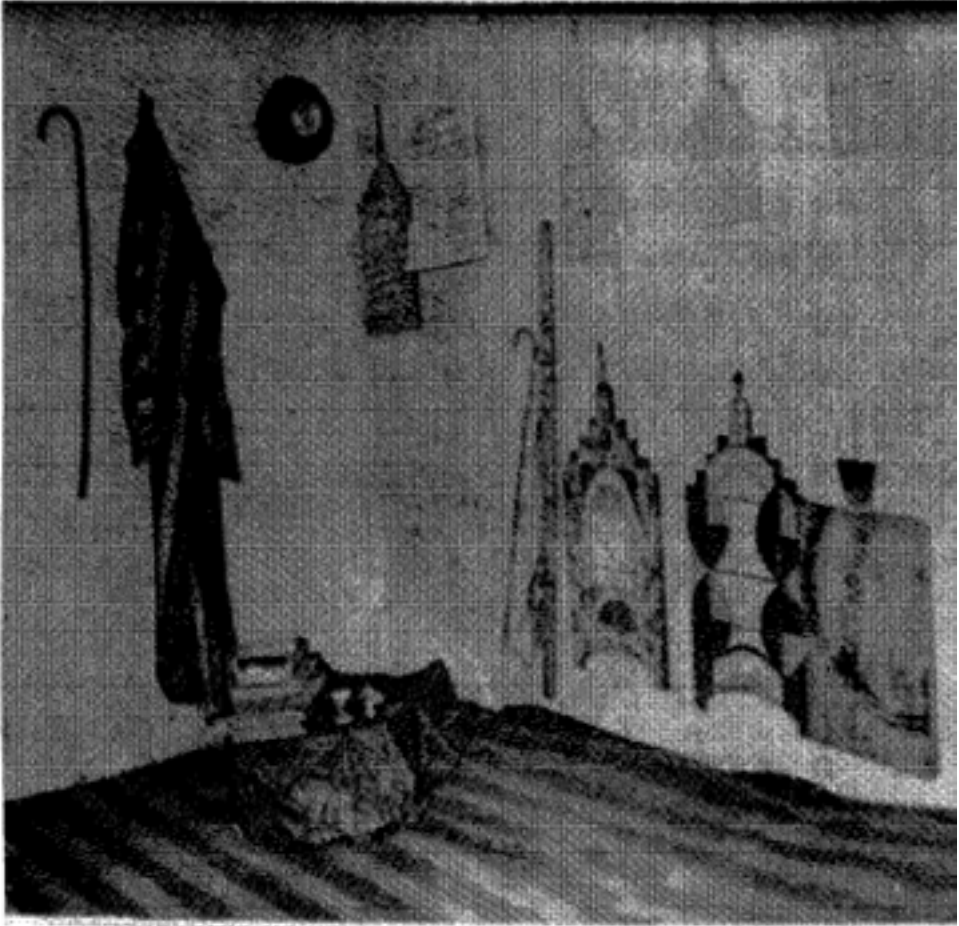
ونالت مدارس المدينة المنورة شهرةً عليا وتخرج فيها طلاب أصبحوا فيما بعد من أبرز قادة الفكر والثقافة والسياسة في المملكة. ولم تُحرم الفتيات من التعليم في المدينة المنورة، بل كانت كُتاتيهن حاضرة قبل الوجود الرسمي لتعليم البنات، وتأسست بالمدينة أكثر من سبع مدارس أهلية للبنات صُممت فيما بعد لنظام التعليم السعودي.

وختاماً يمكننا القول بأن التعليم الأهلي قد أخذ اهتمام بالغ في عهد الملك عبدالعزيز من حيث التطور والتقدم الذي لاحظناه في سطور هذا البحث.

الملاحق

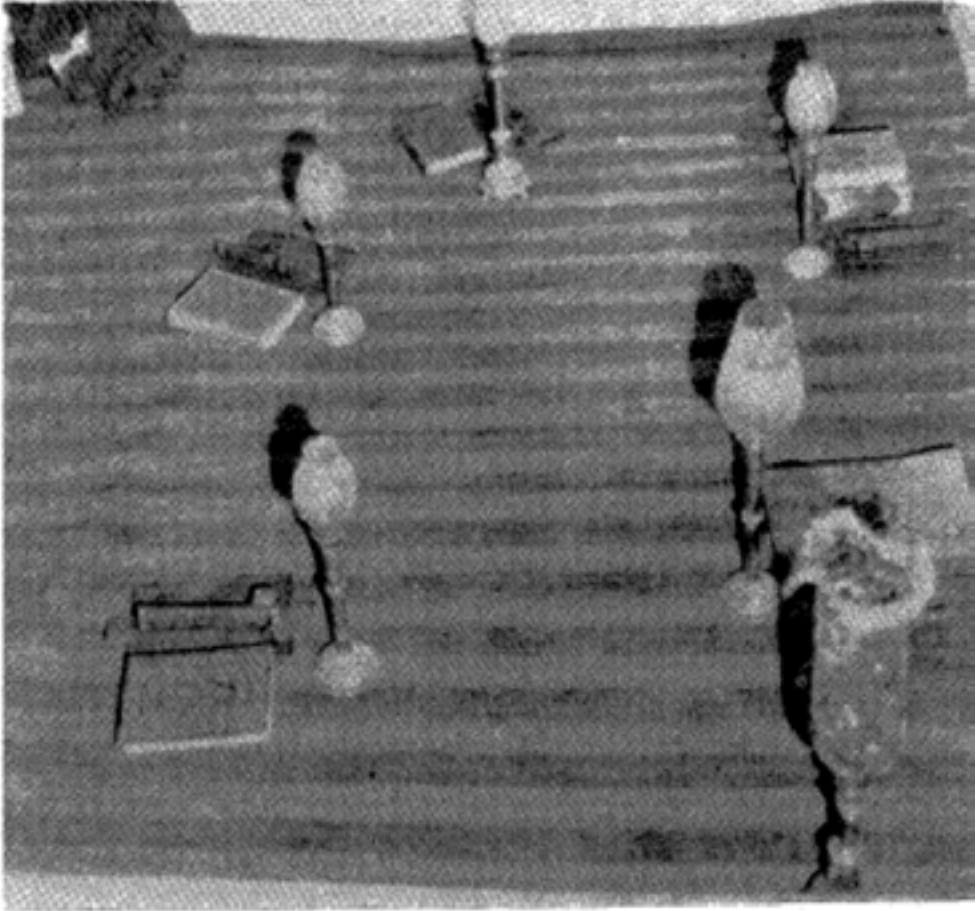
ملحق رقم (1)





يظهر في هذه الصورة الألواح المستخدمة في الكتاب
بمكة المكرمة وأنواعها ، وخاصة ألواح الصرافة والقلابة المنقوشة
من جوانبها ، وجبة وعمامة شيخ الكتاب وأدوات العقاب وهي
الفلكة والعصا، والمنضدة التي يضعها الشيخ أمامه ويضع عليها
بعض نسخ القرآن الكريم.

ملحق رقم (3)



يظهر في الصورة الأدوات المستعملة في الكتاب، وهي اللوح
والمحبرة والقلم المصنوع من القصب ونسخ من القرآن الكريم
ومجموعة من قناديل الاضاءة، وهذه القناديل نادرة الاستعمال
وتستعمل أحياناً في حالة الدراسة ليلاً بالمسجد الحرام أو المساجد
الأخرى.



الألواح التي تستخدم في الكتابيب

ملحق رقم (5)





وهذه الحلقات كانت تستقبل المتخرجين من الكتاتيب ذات المدرس الواحد الشبيهة بالمدارس النظامية

الهوامش:

- (1) ابن دهب، عبد اللطيف، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406 هـ-1986 م، ص 41.
- (2) المرجع السابق، ص 42.
- (3) المرجع السابق، ص 42.
- (4) (*) لم يكن تعليم البنات لدى الفقيه يختلف في شيء عنه في الكتاتيب الخاصة بالبنين، مغربي، محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط 2، جدة: دار العلم، 1405 هـ-1984 م، ص 100.
- (5) المنصور، أحمد بن حسن، بريدة داخل الأسوار وخارجها، (د.ط)، الرياض: توزيع مؤسسة الجريسي، 1422 هـ/2001 م، ص 202.
- (6) السلطان، محمد عبد الله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، طبعة خاصة بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، 1419 هـ-1999 م، ص ص 52-50.
- (7) (*) هناك وثيقة رسمية تثبت اهتمام الملك عبدالعزيز بكتاتيب البنات واصلاحها في عام 1350 هـ الحربي، دلال بنت مخلد، إصلاح كتاتيب البنات في الحجاز من خلال وثيقة رسمية (1350 هـ-1932 م)، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، العدد الأول، مج 14، 1430 هـ/2009 م، ص 24، ملحق رقم (1).
- (8) آل الشيخ، عبد العزيز، ملحات عن التعليم وبيداياته في المملكة العربية السعودية، ط 1، الرياض: مطابع العبيكان، 1412 هـ - 1992 م، ص 18.
- (9) الرئاسة العامة لتعليم البنات، تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام، ط 1، 1430 هـ/2009 م، ص 2.
- (10) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط 1، بيروت: دار صادر، 1410 هـ/1989 م، ج 1، ص 699.
- (11) ابن دهب، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مرجع سابق، ص 11.
- (12) الشامخ، محمد عبدالرحمن التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، الطبعة الثالثة، لبنان: دار العلم للطباعة والنشر 1405 هـ/1985 م، ص 71.
- (13) الانصاري، ناجي محمد حسن عبدالقادر، التعليم في المدينة من العام الهجري الأول إلى 1412 هـ «622-1992 م»، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المنار، 1414 هـ-1993 م، ص 431.
- (14) اللحياني، فهد مرزوق، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز 1343 هـ-1925 م إلى 1373 هـ-1953 م، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، 1429 هـ-2008 م، ص 320. غريب، يوسف، الكتاتيب وتاريخ التعليم بمكة المكرمة، مجلة الحج والعمرة، مكة المكرمة-العدد الثامن، شعبان 1434 هـ/2013 م، ص ص 23، 24؛ الحيدري، دخيل الله بن عبد الله، التعليم الأهلي في المدينة المنورة من عام 1344 هـ إلى 1408 هـ: دراسة تاريخية وصفية، ط 1، جدة: دار العلم، 1412 هـ-1992 م، ص 70.
- (15) حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط 3، جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، 1417 هـ-1996 م، ص 59.

- (16) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص ٤١٨.
- (17) (*) الأميرية: مصطلح يطلق على جميع المدارس والكتاتيب التي تشكّلها مديرية المعارف وتشرف عليها، البركات، صالح بن عبد الله، جهود الملك عبد العزيز في نشر التعليم العام بالمدينة المنورة، المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١٠٩، ١٤٢٠/٥ 2000م، ص ٣٤٣.
- (18) أمر ملكي، رقم 7، في 1346-1-27هـ/٧-١٩٢٧م، معهد الإدارة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (19) المبارك، ابتسام، المدينة المنورة، عاصمة الثقافة منذ فجر الإسلام، جريدة المدينة المنورة، ١-٥/١٤٣٤هـ/13-03-2013م، ص 7.
- (20) (*) يعد المسجد مؤسسة هامة من مؤسسات التربية الإسلامية ولم يقتصر دوره على أن يكون مقراً للعبادة فقط، بل كان مكاناً للتعليم والتربية ومدرسة للعلم والأدب، الحامد، محمد معجب الحامد، مصطفى زيادة، بدر العتيبي، نبيل متولي، التعليم في المملكة العربية السعودية رؤية الحاضر واستشراف المستقبل، ط 1، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣-٥١٤٢٣م، ص 23.
- (21) صحيفة البلاد، المسجد النبوي الشريف المنهل العذب والمدرسة الأولى لطلاب العلم والتعليم، العدد 19259، (د.ت)، ص 2.
- (22) حافظ، عثمان، صور وذكريات عن المدينة المنورة، ط 1، المدينة المنورة: النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص 169.
- (23) صحيفة مكة المكرمة، الكتاتيب وحلقات حفظ القرآن بالمسجد النبوي الشريف، (د.ع)، ٢١-٩-١٤٣٠هـ/١١-٩-٢٠٠٩م.
- (24) إحصاء مقدم من مدير المدرسة الابتدائية بالمدينة المنورة، إلى مدير المعارف العمومية برقم 2، وتاريخ 1349-5-8هـ/٢٠-١٠-١٩٣٠م، الانصاري، مرجع سابق، ص 420.
- (25) (*) المناخة: تقع غرب المسجد النبوي الشريف، وكانت من قبل سوقاً لبني قينقاع من اليهود، إمام، محي الدين، المدينة المنورة معالم وأحداث، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)، ص 108.
- (26) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 420.
- (27) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 421، 422.
- (28) الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله، لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، ط 1، الرياض: مطبعة سفير، 1424هـ-2003م، ص 57؛ بونشيشة، سوسن عبدالكريم، العودة إلى الكتاتيب، صوت الأمة-الهند، مج 47، ع 7، ٨، رمضان-شوال 1436هـ/شوال/أغسطس 2015م، ص 93؛ الرويثي، محمد أحمد؛ وخوجلي، مصطفى محمد، الخدمات التعليمية، من كتاب المدينة المنورة البيئة والانسان، إشراف وتحرير: محمد أحمد الرويثي ومصطفى محمد خوجلي، ط 1، المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، 1418/1419هـ-1997/1998م، ص 477.
- (29) كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1419هـ-1998م، ج 2، ص 279؛ الأنصاري، ناجي بن محمد حسين عبدالقادر، وجنيد، بهجت محمود، معالم النهضة الحديثة في المدينة المنورة، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)، ص 417.

- (30) ن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مرجع سابق، ص 41، 46.
- (31) الظهار، نجاح بنت أحمد عبدالكريم، تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية وأزدهاره في عهد الملك فهد، (مناسبة مرور عشرين عاماً على بيعة خادم الحرمين الشريفين، ط 1، جدة: دار المحمدي للنشر والتوزيع، 1424 هـ / 2003 م، ص 184.
- (32) للحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 325.
- (33) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط 1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354 هـ - 1935 م، ص 143.
- (34) سلم، أحمد سعيد، المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، ط 1، القاهرة: دار المنار، 1414 هـ - 1993 م، ص 112.
- (35) الخيارى، ياسين، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة من القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، الطبعة الثانية، جدة: مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، 1415 هـ / 1995 م، ص 118.
- (36) الظهار، تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص 174.
- (37) المرجع السابق، ص 178، 179، 181، 182.
- (38) الحيدري، دخيل الله بن عبدالله، التعليم الأهلي في المدينة المنورة من عام 1344 هـ إلى 1408 هـ: دراسة تاريخية وصفية، مرجع سابق، ص 74؛ دهيش، مرجع سابق، ص 61.
- (39) (*) كان يطلق عليه شيخ الكتاب، وكان شيخ الكتاب ذا هبة ووقار وحلم وأناة ويعد بمثابة الوالد لابنائه، يعطف عليهم، ويحرص على تربيتهم وتهذيب سلوكهم وأخلاقهم، الأنصاري، ناجي محمد حسن عبد القادر، التعتيمة من مظاهر الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ط 1، المدينة المنورة: النادي الأدبي، 1422 هـ - 2000 م، ص 40.
- (40) ابن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص 56، ملحق رقم (2-3-4).
- (41) الحيدري، التعليم الاهلي في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 68.
- (42) الجهني، سعود بن بنیان بن عواد، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، رسالة ماجستير (منشورة)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية التربية، 1419 هـ / 1998 م، ص 211.
- (43) (*) وهذا الوعاء الذي يحفظ به الحبر له عدة أشكال، موسوعة المملكة العربية السعودية، «منطقة المدينة المنورة»، (د.ط)، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، مج 4، ص 610، ملحق رقم (5).
- (44) الحيدري، مرجع سابق، ص 66، 67، 68.
- (45) ابن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين، مرجع سابق، ص 47.
- (46) الجهني، الدور التربوي للمسجد النبوي، مرجع سابق، ص 229.
- (47) ابن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين، مرجع سابق، ص 48؛ الأنصاري، عبدالقدوس، تاريخ مدينة جدة، ط 1، جدة: مطابع دار الأصفهاني وشركاه، 1383 هـ - 1964 م، ص 149.
- (48) عبد الجبار، عمر، دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط 1، القاهرة: دار ممفيس للطباعة، 1379 هـ / 1959 م، ص 158.

- (49) ابن دهبش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مرجع سابق، ص 49-50.
- (50) الجهني، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، مرجع سابق، ص 214.
- (51) الجواد، حسن مصطفى، وصالح، أحمد عزت عثمان، تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية، ط1، جدة : دار الأصفهاني، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٥ م، ج1، ص 44.
- (52) ابن دهبش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وماحولهما، مرجع سابق، ص 53.
- (53) الخزرجي، عبدالله فرج، المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها منذ عام 925 حتى عام 1409 هـ ط1، جدة: تهامة، 1411 هـ- 1991 م، ص 34.
- (54) الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 54-55.
- (55) حافظ، السيد عثمان، صور وأفكار، ط1، جدة: تهامة، 1404 هـ/ 1984 م، ص 164.
- (56) ابن دهبش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مرجع سابق، ص 61؛ بن دهبش، عبداللطيف بن عبدالله، الكتاتيب في الحجاز خلال نصف قرن 1295-1344 هـ مجلة كلية التربية، جامعة ام القرى- السعودية، ع8، 1403 هـ/ نوفمبر 1982 م، ص 27؛ اللحاني، مرجع سابق، ص 319؛ الجهني، مرجع سابق، ص ٢١٢.
- (57) ابن دهبش، مرجع سابق، ص 52.
- (58) السلطان، محمد عبد الله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 19.
- (59) حافظ، عبد السلام هاشم، المدينة المنورة في التاريخ، ط ٣، (د.م) نادي المدينة المنورة الأدبي، 1402 هـ/ 1982 م، ص 194.
- (60) الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، ط1، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 1424 هـ/ 2004 م، مج1، ص 235.
- (61) طاهر، علوي بن عبدالله، الكتاتيب الاسلامية التقليدية وأثرها في الواقع التربوي، مجلة الطفولة والتنمية، مصر، مج1، ع4، ١٤٢٢ هـ/ 2001 م، ص 165.
- (62) (*) يكون تجمع الطلاب على هيئة حلقة حول الشيخ لسماع مايقوله لهم بوضوح ،وقد تتعد حلقات الدرس في المسجد الواحد، لهذا يتخذ لكل حلقة زاوية من زوايا المسجد بحيث لاتشوش احدهما على الاخرين. المنيف، عبدالله بن محمد، صناعة المخطوطات في نجد ما بين منتصف القرنين العاشر حتى الرابع عشر الهجريين، ط1، الأردن: أروقة للدراسات والنشر، 1435 هـ - 2014 م، ص 73 ؛ موسوعة المملكة العربية السعودية «منطقة مكة المكرمة»، مرجع سابق، مج2، ص 637، ملحق رقم6.
- (63) صحيفة عيون المدينة، (د.ع)، المدينة المنورة، (1434-4-18 هـ/ ٢٠١٣-٢-٢٨ م).
- (64) الخيار، ياسين، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة من القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، مرجع سابق، ص 169.
- (65) الحازمي، علي دخيل الله، توسعة المسجد النبوي في العهد السعودي المعاصر واثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة، تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، الرياض: منشورات الجمعية التاريخية السعودية، 1431 هـ- 2010 م، ص 519.

- (66) حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 233.
- (67) الجهني، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، مرجع سابق، ص 183.
- (68) السبيعي، عادل بن محمد، الجهود العلمية في خدمة السنة النبوية في الحرمين الشريفين في العهد السعودي، مجلة الدرعية، السعودية، مج 9، ع 34، 35، السنة التاسعة جمادي الآخر/ رمضان 1427 يوليو-أكتوبر 2006م، ص 85، 86.
- (69) سالم، الشيوخ عطية محمد، ت: 1420 هـ/ 1999م، من علماء الحرمين، ط 1، المدينة النبوية: دار الجوهرة، 1426 هـ / 2005م، ص 363، 370.
- (70) ((العنزي، عبدالله بن زعل، شذا الياسمين من أخبار المعاصرين، ط 1، المدينة المنورة: دار الاوراق الثقافية، 1435 هـ/ 2014م، ص 139.
- (71) سالم، من علماء الحرمين، مرجع سابق، ص 405.
- (72) المرجع السابق، ص 409، 410.
- (73) (*) حوش منصور: يقع في جنوب ميدان المناخة ويفتح مباشرة على المناخة، سلم، المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، مرجع سابق، ص 195.
- (74) مرشد، أحمد أمين، طبية وذكريات الأحبة، الطبعة الثالثة، جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، 1416 هـ- 1995م، ص 76، 78.
- (75) (75) ((المرجع السابق، ص 79، 80.
- (76) سالم، من علماء الحرمين الشريفين، مرجع سابق، ص 411، 412، 414.
- (77) الشويعر، خولة بنت محمد بن سعد، وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز دراسة تحليلية، ط 1، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1427 هـ- 2006م، ص 62.
- (78) الحيدري، التعليم الاهلي في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 119؛ الرومي، أحمد، والسويداني، عامر، ملحات من مسيرة التعليم السعودي خلال 90 عاماً، مجلة المعرفة، العدد (223)، (ذو الحجة 1434/ 2013م)، ص 4؛ الحصين، محمد بن عبدالرحمن، دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة، والمحافظة عليها في المدينة المنورة، مجلة جامعة الملك سعود، مج 9، العمارة والتخطيط، الرياض، 1417/ 24/ 5/ 1996م، ص 71.
- (79) بلول، مختار محمد، المدينة المنورة درة المدائن، ط 1، الرياض: دار بلول، 1421 هـ- 2000م، ص 218.
- (80) أحمد الفيض أبادي: ولد في بانكروم في منطقة فيض أباد عام 1293 هـ - 1876م، ورحل مع والده إلى المدينة المنورة، وأقام فيها أربع سنوات، غادرها عام 1320 هـ - 1902م لاستكمال دراسته، ثم عاد إلى المدينة وأسس مدرسة العلوم الشرعية عام 1341 هـ - 1922م، توفي بالمدينة سنة 1358 هـ - 1939م. مرشد، أحمد أمين، طبية وذكريات الأحبة، مرجع سابق، ج 1، ص 61-62.
- (81) الخياري، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، مرجع سابق، ص 169؛ بدر، عبد الباسط عبد الرزاق، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ع 22، رجب-رمضان 1428 هـ/ أغسطس-أكتوبر 2007م، ص 73.

- (82) اللحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 340-339: الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 442.
- (83) الشريف، محمد حسن عقيل موسى، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، ط1، جدة: دار الاندلس الخضراء، 1421هـ-2000م، مج4، ص 1309.
- (84) اللحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 342-341.
- (85) اللحياني، مرجع سابق، ص 341.
- (86) الدهلوي: ولد في مدينة الدهلي بالهند، ونشأ على عقيدة أهل السلف الصالح من أهل الحديث، هاجر إلى المدينة المنورة عام 1345هـ-1926م، واشتغل بالتدريس في المسجد النبوي الشريف إلى أن تم فتح دار الحديث عام 1350هـ/ 1931م بأمر الملك عبدالعزيز، الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة، مرجع سابق، ص 119-120.
- (87) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 446.
- (88) (*) سوق القماش: من أقدم الأسواق المشهورة في المدينة المنورة، ويقع أمام الحرم النبوي الشريف من الجهة الغربية، وهذا السوق معروف بسويقة كان يمر منه الرسول صل الله عليه وسلم من المسجد إلى المصلى «مسجد الغمامة» وهو يبدأ من ميدان باب السلام إلى الباب المصري وهذا الشارع يحتوي على كثير من بيوت الصحابة رضوان الله عليهم وقد أزيل عام 1397هـ/ 1976م، الخياري، صور من الحياة الاجتماعية للمدينة المنورة، مرجع سابق، ص 34.
- (89) سلم، أحمد سعيد، المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المنار، 1414هـ-1993م، ص 124.
- (90) الحقييل، عبد الله، جوانب مضيئة لمسيرة التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، الرياض، عدد-4، 11، رجب- 1406هـ/ 1986م، ص 134.
- (91) سلم، المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، مرجع سابق، ص 116.
- (92) الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 145.
- (93) اللحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 343.
- (94) بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط1، المدينة المنورة: (دن)، 1414هـ-1993م، ج3، ص 198.
- (95) اللحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، ص 343-344.
- (96) السدحان، عبد الله، رعاية الأيتام في المملكة العربية السعودية، الرياض، طبعة خاصة بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية عام 1419هـ-1999م، ص 82.
- (97) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، مرجع سابق، ص 352.
- (98) اللحياني، المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 344.
- (99) بلول، المدينة المنورة درة المدائن، مرجع سابق، ص 226-227.
- (100) نواب، لميس عبد الحفيظ، دراسة تحليلية لبعض مشكلات التعليم الأهلي في المرحلة الابتدائية للبنات في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة الملك سعود، 1404هـ/ 1983م، ص 8.